



وهي خاتمة في زبدة رسائل اخوان الصفاء

طبع على نفقة

مكتبة المعارف

{ بأول شارع محمد علي بجوار سوق الخضار لصاحبها }

احمد حسنين

سنة ١٣٣١ هـ - ١٩١٣ م

الثمن ٥٠ مليم

مطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

لحضرة الفاضل محمد علي افندي كامل صاحب مكتبة ومطبعة الترقي سابقاً

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

(وبعد) فأنت تعلم يا أخي أن المرء يصلحه القرين الصالح وان الكتاب لقارئه كالقرين لقرينه

وها أنا أقدم لك «رسالة الحيوان والانسان» خاتمة «رسائل اخوان الصفاء» المشهورة وزبدتها. وهي وان كان ظاهرها الخرافة والفكاهة في لفظ عذب طليّ، الا ان باطنها الحكمة والموعظة الحسنة في معنى دقيق خفي؛ واني أرجو أن لا يشغلك ظاهرها عن باطنها بقدر ما أود أن تكون ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه

محمد علي كامل

فى تداعى الحيوانات على الانسان

اعلم انه لما توالدت أولاد آدم وكثرت. انتشرت في الارض برا و بحرا سهلا وجبلا . متصرفين فيها آمنين . بعد ما كانوا قليلين خائفين مستوحشين من كثرة السباع والوحوش في الارض . وكانوا يأوون في رؤوس الجبال والتلال متحصنين بها فى المغارات والكهوف. وكانوا يأكلون من ثمر الاشجار و بقول الارض وحبوب النبات . وكانوا يستترون باوراق الشجر من الحر والبرد و يشتون في البلاد الدفئة و يصيفون فى البلدان الباردة . ثم بنوا فى سهول الارض المدن والقرى وسكنوها . ثم سخروا من الانعام البقر والغنم والجمال ومن البهائم الخيل والبغال والحمير وقيدوها وألجموها وصرفوها في مآربهم من الركوب والحمل والحرث والدياس . واتعبوها فى استخدامها وكلفوها أكثر من طاقتها ومنعوها من التصرف في مآربها بعد ما كانت مخلاة في البرارى والآجام تذهب حيث أرادت في طلب مرعاها ومشاربها ومصالحها فنفرت منهم بقيتها مثل حمير الوحش والغزلان والسباع والوحوش والطيور بعد ما كانت مستأنسة متألفة مطمئنة فى أوطانها وأماكنها وهربت من ديار بني آدم الى البرارى البعيدة والآجام والدحال . وتشمر بنو آدم فى طلبها بانواع من الحيل والقنص

والشباك والفخاخ واعتقد بنو آدم فيها أنها عبيد لهم هربت وطغت

ثم مضت السنون والاعوام على ذلك الى أن بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم ودعا الانس والجن الى الله تعالى والى دين الاسلام فاجابته طائفة من الجن وحسن اسلامها ومضت على ذلك مدة من الزمان ثم انه ولي على بني الجن ملك منهم يقال له (بيوراسب) الحكيم لقبه شاه مردان وكان دار مملكته في جزيرة يقال لها (بلاصاغون) في وسط البحر الاخضر مما يلي خط الاستواء وهي طيبة الهواء والتربة فيها أنهار عذبة وعيون فوارة وهي كثيرة الريف والمرافق وفنون الاشجار وألوان الثمار والرياض والازهار والرياحين والانوار.

فطرحت الرياح العاصفة في وقت من الزمان مركبا من سفن البحر الى ساحل تلك الجزيرة وكان فيها قوم من التجار والصناع وأهل العلم وسائر أبناء الناس فخرجوا الى تلك الجزيرة وطافوا فيها فوجدوها كثيرة الاشجار والفواكه والثمار والمياه العذبة والهواء الطيب والتربة الحسنة والبقول والرياحين وألوان الزروع والحبوب مما أنبتتها أمطار السماء ورأوا فيها أصناف الحيوانات من البهائم والانعام والطيور والسباع وهي كلها متألفة بعضها مع بعض مستأنسة غير متنافرة

ثم ان أولئك القوم استطابوا ذلك المكان واستوطنوه وبنوا هنالك البنيان وسكنوها ثم اخذوا يتعرضون لتلك البهائم والانعام التى هناك يسخرونها يركبونها ويحملون عليها أثقالهم على الرسم الذي كانوا يفعلون فى بلدانهم فنفرت منهم تلك البهائم والانعام هناك

وهربت وتشمروا في طلبها بانواع من الحيل في اخذها واعتقدوا فيها انها عبيد لهم فهربت وخلعت الطاعة وعصت

فلما علمت تلك البهائم والانعام هذا الاعتقاد منهم اجتمعت زعماؤها وخطباؤها وذهبوا الى (بيوراسب الحكيم) ملك الجن فبعث رسولا الى أولئك القوم ودعاهم الي حضرته فذهبت طائفة من أهل ذلك المركب الى هناك وكانوا نحوا من سبعين رجلا من بلدان شتى . فلما بلغه قدومهم أمر لهم بالانزال والاكرام ثم أوصلهم الى مجلسه بعد ثلاثة أيام . وكان (بيوراسب) ملكا حكيما عادلا كريما منصفا سمحا يقري الاضياف ويأوى الغرباء ويرحم المبتلي ويمنع الظلم ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولا يبتغى بذلك الا وجه الله ومرضاته .

فلما وصلوا اليه ورأوه على سرير الملك حيوه بالتحية والسلام . فقال لهم الملك على لسان الترجمان : ما الذى جاء بكم الى بلادنا وما دعاكم الى جزيرتنا من غير مراسلة قبل ذلك ؟ — قال قائل منهم : دعانا ماسمعنا من فضائل الملك ومناقبه الحسان ومكارم أخلاقه وعدله وانصافه في الاحكام . فجئناه لنسمع كلامنا ونبين حجتنا ويحكم بيننا وبين عبيدنا الآبقين وخدمنا المنكرين ولايتنا والله يوفق للصواب ويسدد للرشاد . فقال الملك : قولوا ماتريدون وبينوا ماتقولون . قال زعيم الانس : نعم أيها الملك ان هذه البهائم والانعام والسباع والوحوش والحيوانات أجمع عبيدنا ونحن أربابها فمنها هارب

عاص ومنها مطيع كاره منكر للعبودية . فقال الملك للانسي : ما الدليل وما الحجة علي مازعمت وادعيت ! — قال الانسى : نعم أيها الملك لنا دلائل شرعية سمعية على ما قلت وحجج عقلية . فقال هات . فقام خطيب من الانس من أولاد العباس رضوان الله عليه فصعد المنبر فقال :

الحمدلله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا غدوان الإعلى الظالمين وصلى الله علي محمد خاتم النبيين وامام المرسلين صاحب الشفاعة يوم الدين وصلوات الله علي الملائكة المقربين وعلى عباده الصالحين وأهل السموات والأرضين من المؤمنين والمسلمين وجعلنا وايا كم منهم برحمته وهو أرحم الراحمين . والحمدلله الذى خلق من الماء بشرا وخلق منه زوجته و بث منهما رجالا كثيرا ونساء وأ كرم ذريتهما وحملهم فى البر والبحر ورزقهم من الطيبات . قال الله عز وجل : « والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . » وقال عز وجل : « وعليها وعلي الفلك تحملون . » وقال : « والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة . » وقال : « لتستووا علي ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه . » وآيات كثيرة في القرآن وفي التوراة والانجيل تدل على انها خلقت لنا ومن أجلنا وهي عبيد لنا ونحن أربابها واستغفر الله لى ولكم .

قال الملك : قد سمعتم معشر البهائم والانعام ماذكر الانسي

من آيات القرآن واستدل بها على دعواه ، فأي شيء عندكم فيما قال؟
فقام عند ذلك زعيمها وهو البغل فقال :

الحمد لله الواحد الاحد . الفرد الصمد القديم السرمدي . الذي كان قبل الاكوان بلا زمان ولا مكان . ثم قال كن فكان نورا ساطعا أظهره من مكنون غيبه ثم خلق من النور نارا وهاجا وبحرا من الماء زجراجا ذا أمواج . ثم خلق من الماء والنار افلاكا ذات ابراج وكواكب وسراجا وهاجا . والسماء بناها . والارض دحاها . والجبال ارساها . وجعل اطباق السموات مسكن العليين . وفسحة الافلاك مسكن الملائكة المقربين . والارض وضعها للأنام وهي النبات والحيوان. وخلق الجان من نار السموم. وخلق الانس من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين في قرار مكين . وجعل ذريته في الارض يخلفون ليعمروها ولا يخربوها . ويحفظوا الحيوان وينتفعوا بها ولا يظلموها ولا يجوروا عليها . واستغفر الله لى ولكم . ثم قال : ليس في شيء مما ذكر هذا الانسي من الآيات أيها الملك دلالة تدل على مازعم انهم أرباب ونحن عبيد انما هي آيات تدل على انعام الله عليهم واحسانه اليهم فقال سخرها لكم كما سخر الشمس والقمر والرياح والسحاب. أفترى أيها الملك انها عبيد لهم ومماليك وانهم أربابها . اعلم أيها الملك ان الله جل ثناؤه خلق الخلائق كلها في السموات والارضين وجعلها مسخرة بعضها لبعض أما لجر منفعة اليها أو لدفع مضرة عنها فتسخير الله عز وجل الحيوان للانس إنما هو لايصال المنفعة اليهم ولدفع

المضرة عنهم كما سنبين بعد هذا الفصل لا كما ظنوا .وتوهموا وقالوا من الزور والبهتان بأنهم أربابنا ونحن عبيدهم .

ثم قال زعيم البهائم : كنا أيها الملك نحن وآباؤنا سكان الارض قبل خلق آدم أبي البشر قاطنين في أرجائها ظاعنين في فجاجها تذهب وتجيء طائفة منا في بلاد الله في طلب معاشنا ونتصرف في اصلاح أمورنا كل واحد منا مقبل على شأنه في مكانه موافق لما ربه في برية أو أجمة أو سهل أو جبل . كل جنس منا مؤالف لابناء جنسه . مشتغلين باتخاذ نتاجنا وتربية أولادنا في طيب من العيش بما قدر الله لنا من المآكل والمشارب . آمنين في أوطاننا معافين في أبداننا . نسبح لله ونقدسه ليلا ونهارا لا نعصيه ولا نشرك به شيئا . ومضى على ذلك الدهور والازمان ثم ان الله تعالى خلق آدم أبا البشر فجعله خليفة في الارض وتوالدت أولاده وكثرت ذريته وانتشرت في الارض برا وبحرا سهلا وجبلا وضيقوا علينا الاماكن والأوطان وأخذوا منا أسرى من الغنم والبقر والخيل والبغال والحمير وسخروها واستخدموها وأتعبوها بالكد والعناء والأعمال الشاقة من الحمل والركوب والشد في الفدان والدواليب والطواحين بالقهر والغلبة والضرب والهوان وألوان من العذاب طول أعمارنا . فهرب منا من هرب في البراري والقفار ورؤوس الجبال وتشمر بنو آدم في طلبنا بأنواع من الحيل فمن وقع في أيديهم منا فالغل والقيد والقفص . ثم الذبح والسلخ وشق الاجواف وقطع المفاصل وكسر العظام ونزع العيون ونتف الريش وجز الشعور والوبر . ثم

نار الطبخ والسفود والتشوية وألوان من العذاب مالا يبلغ الوصف كنهها . ومع هذه الالوان كلها لا يرضون منا هؤلاء الآدميون حتى ادعوا علينا ان هذا حق واجب لهم وانهم أرباب لنا ونحن عبيد لهم فمن هرب منا فهو آبق عاص تارك للطاعة . كل هذا بلا حجة لهم علينا ولا بينة ولا برهان الا القهر والغلبة.

فلما سمع الملك هذا الكلام وفهم هذا الخطاب أمر مناديا فنادى في مملكته ودعا الجنود والأعوان من قبائل الجن والقضاة والعدول والفقهاء وقعد لفصل القضايا بين زعماء الحيوانات والجدليين من الانس . ثم قال لزعماء الانسي : ماتقولون فيما يحكي هذه الانعام والبهائم من الجور و يشكون من الظلم والتعدى منكم ، قال زعيم الانس : ان هؤلاء عبيدنا ونحن مواليها ولنا أن نتحكم عليها تحكم الارباب : فمن أطاعنا فقد أطاع الله ومن عصانا عصي الله . — قال الملك للانسي : ان الدعاوى لاتصح عند الحكام الا بالبينات ولا تقبل الا بالحجج . فما حجتك فيما قلت وادعيت . قال الانسي : ان لنا حججاً عقلية ودلائل فلسفية تدل على صحة ماقلنا . ـ قال الملك : ماهي بينها ـ قال نعم هي حسن صورتنا وتقويم بنية هيكلنا وانتصاب قامتنا وجودة حواسنا ودقة تمييزنا وذكاء نفوسنا ورجحان عقولنا : كل هذا دليل على انا أرباب وهم عبيدلنا

قال الملك لزعيم البهائم : ماتقول فيما ذكر ؟ ـ قال : ليس شيء مما قال دليلا على ماادعي هذا الانسي . ـ قال الملك : أليس انتصاب

القيام واستواء الجلوس من شيم الملوك . وانحناء الأصلاب والانكباب على الوجوه من صفات العبيد ؟ـ قال الزعيم : وفقك الله ايها الملك للصواب. اسمع ما أقول واعلم بان الله تعالى لم يخلقهم على تلك الصورة ولا سواهم علي تلك البنية لتكون دلالة على انهم ارباب . ولا خلقنا على هذه الصورة لتكون دلالة على انا عبيد . ولكن لعلمه واقتضاء حكمته بان تلك الصورة اصلح لهم وهذه اصلح لنا :.

بيان ذلك ان الله تعالى لما خلق آدم واولاده عراة حفاة بلا ريش على ابدانهم ولا وبر ولا وصوف علي جلودهم تقيهم من الحر والبرد وجعل ارزاقهم من ثمر الاشجار ودثارهم من اوراقها . وكانت الاشجار منتصبة مرتفعة في جو الهواء جعل ايضاً قامتهم منتصبة ليسهل عليهم تناول الثمر والورق منها . هكذا لما جعل غذاء اجسامنا من حشائش الأرض جعل بنية ابداننا منحنية ليسهل علينا تناول العشب من الارض . فلهذه العلة جعل صورتهم منتصبة وصورتنا منحنية لا كما توهموا ـ قال الملك : فما تقول في قول الله تعالى « لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم » ؟ـ قال الزعيم : ان للكتب السماوية تأويلات وتفسيرات غير ما يدل عليه ظاهر ألفاظها يعرفها الراسخون في العلم . فليسأل الملك عنها أهل الذكر والعلم ـ قال الملك لحكيم الجن . مامعني « احسن تقويم » ـ قال : اليوم الذي خلق الله تعالى آدم فيه كانت الكواكب في اشرافها واوتاد البيوت قائمة والزمان معتدلا والمواد كانت متهيئة لقبول الصور فجاءت بنيته فى احسن.

صورة واكمل هيئة . - قال الملك . فكفى بهذا فضيلة وكرامة وافتخارا - ثم قال حكيم الجن : ان لحسن التقويم معنى غير ماذكر وبين ذلك قوله تعالى . « الذى خلقك فسواك فعدلك في اى صورة ماشاء ركبك » . يعني لم يجعلك طويلا دقيقا ولا صغيرا قصيرا بل ما بين ذلك .

قال زعيم البهائم : ونحن كذلك فعل بنا ايضا لم يجعلنا طوالا دقاقا ولا صغارا قصارا بل ما بين ذلك فنحن وهم في هذه الفضيلة بالسوية - قال الانسي لزعيم البهائم : من اين لكم اعتدال القامة واستواء البنية وتناسب الصورة وقد نرى الجمل عظيم الجثة طويل الرقبة صغير الاذنين قصير الذنب . ونرى الفيل عظيم الخلقة طويل النابين واسع الاذنين صغير العينين . ونرى البقر والجاموس طويل الذنب غليظ القرون ليس له اسنان من فوق . ونرى الكبش عظيم القرنين كبير الالية ليس له لحية . ونرى التيس طويل اللحية ليس له الية بل مكشوف العورة . ونرى الارنب صغير الجثة كبير الاذنين وعلى هذا المثال نجد اكثر الحيوانات والسباع والوحوش والطيور والهوام مضطرب البنية غير متناسب الاعضاء ؟ - فقال له زعيم البهائم . هيهات ذهب عليك ايها الانسي احسنها وخفي عليك احكمها . اما علمت انك اذا عبت المصنوع فقد عبت الصانع ؟ اولا تعلم ان هذه كلها مصنوعات البارى الحكيم الذى خلقها بحكمته لعلل واسباب واعراض تجر المنافع اليها وتدفع المضار عنها ولا يعلم ذلك الا هو والراسخون في العلم ؟

قال الانسي : فخبرنا ايها الزعيم ان كنت حكيم البهائم وخطيبها ما العلة في طول رقبة الجمل ؟ قال ليكون مناسبا لطول قوائمه لينال الحشيش من الارض ويستعين بها في النهوض بحمله وليبلغ مشفره الى سائر اطراف بدنه فيحكها . واما خرطوم الفيل فعوض عن طول الرقبة وكبر أذنيه ليذب بهما البق والذباب عن ما في عينيه وفمه اذ كان فمه مفتوحا ابدا لايمكنه ضم شفتيه لخروج اسنانه منه . وانيابه سلاح له يمنع بها السباع عن نفسه . واما كبر أذن الارنب فهو من اجل ان يكون دثارا لها ووطاء في الشتاء والصيف لانه رقيق الجلد ترف البدن . وعلى هـذا القياس نجد كل حيوان جعل الله له من الأعضاء والمفاصل والادوات بحسب حاجته اليه لجر منفعة او لدفع مضرة . والى هذا المعني اشار موسي عليه السلام بقوله . « ربنا الذى اعطي كل شيء خلقه ثم هدي »

واما الذى ذكرت ايها الانسي من حسن الصورة وافتخرت به علينا فليس فيها شيء من الدلالة على مازعمت بانكم ارباب ونحن عبيد اذ كان حسن الصورة انما هو شيء مرغوب فيه عند ابناء الجنس من الذكران والاناث ليدعوهم ذلك الى الجماع والسفاد والنتاج والتناسل لبقاء الجنس . وحسن الصورة في كل جنس غير الذى يكون في جنس آخر . ولهذا ذكراننا لاترغب في محاسن اناثكم ولا اناثنا في محاسن ذكرانكم كما لايرغب السود في محاسن البيض ولا البيض في محاسن السود . فلا فخر لكم علينا في محاسن الصورة ايها الانسي

في بيان جودة الحواس للحيوان

واما الذى ذكرته من جودة حواسكم ودقة تمييزكم وافتخرت علينا فليس ذلك لكم خاصة دون غيركم من الحيوانات لان فيها ماهو أجود حاسة منكم وأدق تمييزا .

فمن ذلك الجمل فانه مع طول قوائمه ورقبته وارتفاع رأسه من الارض في الهواء يبصر موضع قدميه في الطرقات الوعرة والمسالك الصعبة في ظلم الليل مالا تبصرون ولا يرى أحد منكم الا بسراج او مشعل او شمع . و يرى الفرس و يسمع وطأ الماشي من البعد في ظلمة الليل حتي انه ربما نبه صاحبه من نومه بركضه برجله حذرا عليه من عدو او سبع . وهكذا نجد كثيرا من الحمير والبقر اذا سلك بها صاحبها طريقا لم يسلكها قبل ثم خلاها رجعت الى مكانها ومعلفها وموضعها المألوف . وقد نجد من الناس من قد سلك طريقا ما دفعات ثم يضل فيه ويتيه . ونجد من الغنم والشاة ما يلد منها في ليلة واحـدة عددا كثيرا وتسرح من الغد للرعي وتروح بالعشي ويخلي من الوثاق مائة من اولادها او اكثر فيذهب كل واحد منها الى امه ولا يشكل عليها امهاتها ولا يشتبه اولادها على امهاتها . والانسي ربما مضى به الشهر والشهران او اكثر وهو لا يعرف والدته من اخته ولا والده

من أخيه . فأين جودة الحواس ودقة التمييز التي ذكرت وافتخرت به علينا ايها الانسي .

واما الذي ذكرت من رجحان العقول فلسنا نرى له اثرا ولا علامة . لأنه لو كان بكم عقول راجحة لما افتخرتم علينا بشيء ليس هو من افعالكم ولا باكتساب منكم بل هي مواهب من الله تعالى لتعرفوا مواقع النعم وتشكروا له ولا تعصوه . وانما العقلاء يفتخرون باشياء هي افعالهم من الصنائع المحكمة والآراء الصحيحة والعلوم الحقيقية والمذاهب المرضية والسنن العادلة والطرائق المستقيمة .ولسنا نراكم تفتخرون علينا بشيء غير دعاوي بلا حجة وخصومة بلا بينة

في بيان شكاية الحيوان وجور الانسان

فقال الملك للانسي : قد سمعت الجواب فهل عندك شيء غير ما ذكرت ؟ فقال نعم ايها الملك مسائل أخر دليل على انا أربابهم وانهم عبيد لنا .

فمن ذلك بيعنا وشراؤنا لها واطعامنا وسقينا لها . وانا نكسوها ونكنها من الحر والبرد ونمنع عنها السباع ان تفرسها . ونداويها اذا مرضت ونشفق عليها اذا اعتلت . ونعلمها اذا جهلت ونعرض عنها اذا جنت . كل ذلك نفعله اشفاقا عليها ورحمة لها . وكل هذا من افعال الارباب بالعبيد والموالي بالمماليك .

قال الملك لزعيم البهائم : قد سمعت ما ذكر فأي شيء عندك

فأجب . — قال الزعيم : اما قوله انا نبيعها ونشتريها فهكذا يفعل
ابناء فارس بابناء الروم وابناء الروم بابناء فارس اذا ظفر بعضهم ببعض.
أفترى ايهم العبيد وايهم الموالى . وهكذا يفعل ابناء الهند بابناء
السند وابناء السند بابناء الهند . وهكذا يفعل ابناء الحبشة بابناء
النوبة وابناء النوبة بابناء الحبشة . وهكذا يفعل الاعراب والاكراد
والاتراك بعضهم ببعض فايهم ليت شعرى العبيد وايهم الارباب
بالحقيقة ؟ وهل هى ايها الملك الفاذل الا دول ونوب تدور بين الناس
بموجبات احكام النجوم والقرانات كما ذكر الله تعالى فقال . «وتلك
الأيام نداولها بين الناس وما يعقلها الا العالمون . » واما الذى ذكر
بانا نطعمها ونسقيها وما ذكره من سائر ما يفعلون بنا فليس ذلك شفقة
منهم علينا ولا رحمة بل مخافة ان نهلك فيخسرون اثماننا ويفوتهم
منافعهم بنا من شرب ألباننا والتدثر باصوافنا واوبارنا واشعارنا وركوبهم
ظهورنا وحملنا اثقالهم لا للشفقة والرحمة كما ذكر .

ثم تكلم الحمار وقال : ايها الملك لو رأيتنا ونحن اسارى فى
ايديهم موقرة ظهورنا باثقالهم من الحديد والحجارة وغير ذلك ونحن
نحملها بجهد وكد وبأيديهم الخشب يضربون وجوهنا وادبارنا بحنق
وعنف لرحمتنا ورثيت لنا وبكيت علينا ايها الملك الرحيم . فأين الرحمة
والشفقة منهم ؟

ثم تكلم الثور وقال : لو رأيتنا ايها الملك ونحن اسارى في ايديهم
مقرنين في معاصرهم مشدودين فى دواليبهم وارحيتهم مغطاة وجوهنا

مشدودة اعيننا وبايديهم العصا والمقارع وهم يضربون وجوهنا وادبارنا لرحمتنا . فاين الرحمة منهم ؟

ثم تكلم الكبش فقال : لو رأيتنا ايها الملك ونحن اسارى في ايديهم وهم آخذون صغار اولادنا من الجداء والحملان فيفرقون بينها وبين أمهاتها يستأثرون بالبانا ويجعلون اولادنا مشدودة ايديها وارجلها الى المذابح والمسالخ جائعة عطشانة تصيح ولا ترحم وتصرخ ولا تغاث ثم نراها مذبوحة مسلوخة مشققة اجوافها مفرقة عظامها ورؤوسها ومضاربها واكبادها في دكاكين القصابين مقطعة بالسواطير مطبوخة في القدور مسفدة في التنور ونحن سكوت لا نشكو ولا نبكي ولو بكينا ما رحمونا . فاين الرحمة منهم ؟

ثم تكلم الجمل فقال : لو رايتنا ايها الملك ونحن اسارى في ايدى بني آدم مخزومة أنوفنا بايدى جمالهم خطامنا يجروننا على كره منا محملة ظهورنا باثقالهم نمشي في ظلم الليالى نصدم الصخور والدكادك باخفافنا ويقرح جنوبنا وظهورنا من احتكاك اقتابنا ونحن جياع عطاش لرحمتنا ورثيت لنا وبكيت علينا ايها الملك . فاين الرحمة منهم ؟

ثم تكلم الفيل فقال : لو رأيتنا ايها الملك ونحن اسارى فى ايدى بني آدم والقيود فى ارجلنا والقلوس فى رقابنا وكلاليب الحديد في ايديهم يضربوننا بها ويدمغوننا يمنة ويسرة على كره منا مع كبر جثتنا لرحمتنا ولبكيت علينا ايها الملك . فأين الرحمة والرأفة لهم علينا كما زعم هذا الانسي ؟

ثم تكلم الفرس فقال : لو رأيتنا ايها الملك ونحن أسارى في ايدى بني آدم واللجم في افواهنا والسروج على ظهورنا والطنوج على اوساطنا والفرسان المدرعة علي ظهورنا في المعارك ونقحم في الغبار جياعا عطاشا والسيوف فى وجوهنا والرماح في صدورنا والسهام في نحورنا نخوض المنايا ونسبح فى الدماء لرحمتنا ايها الملك .

ثم تكلم البغل فقال : لو رأيتنا ايها الملك ونحن اسارى في ايدى بني آدم والشكل في ارجلنا واللجم علي افواهنا والحكمات في أحنا كنا والأكاف علي ظهورنا وسفهاء الناس من الساسة والرحالين يشتموننا باقبح مايقدرون عليه من الشتم و يضربون بالمقارع على وجوهنا وادبارنا بحنق وغيظ حتى انه ربما بلغ بهم ذلك الى ان يشتموا نفوسهم واخواتهم ، كل ذلك راجع اليهم وهم به اولى . فاذا فكرت ايها الملك فيما هم فيه من هذه الاوصاف من السفاهة والجهالة والفحشاء والقبيح من الكلام لرأيت منهم عجبا من قلة الفصل بما هم فيه من الاحوال المذمومة والصفات القبيحة والاخلاق الردية والاعمال السيئة والجهالات المتراكمة والآراء الفاسدة والمذاهب المختلفة ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ولا يتعظون بمواعظ انبيائهم ولا يأتمرون بوصايا ربهم حيث يقول : « وليعفوا وليصفحوا . ألا تحبون ان يغفر الله لكم . » وقوله : « قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله . » وقوله : « وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم . » وقوله : « لتستووا علي ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا

استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون . »

فلما فرغ البغل من كلامه التفت الجمل الى الخنزير اللعين وقال له قم وتكلم واذكر ما يلقى معاشر الخنازير من جوربني آدم واشك الى الملك الرحيم فلعله يرؤف لنا ويرحمنا ويفك اسرنا من ايديهم فانكم من الانعام . — فقال حكيم من حكماء الجن : لعمرى ليس الخنزير من الانعام بل هو من السباع . ألا ترى ان له انيابا ويأكل الجيف ؟ وقال قائل من الجن : بل هو من الانعام . ألا ترى انه ذو ظلف يأكل العشب والعلف ؟ وقال آخر : هو مركب من الانعام والبهائم مثل الزرافة فانها مركبة من البقر والنمر والجمل ومثل النعامة فان شكلها شبيه بالطير والجمل ؟

ثم قال الخنزير للجمل: والله ماأقول ومن اشكو من كثرة اختلاف القائلين فى أمرنا . أما حكماء الجن فقد سمعت ماقالوا . وأما الإنس فهم أكثرخلافا في أمرنا وأبعدرأيا ومذهبا في حقنا. وذلك ان المسلمين يقولون انا مسوخ ملاعين يستقبحون صورنا ويستثقلون أرواحنا وهم يستقذرون لحومنا ويستنكفون من ذكرنا . وأماالروم فهم يتنافسون على أكل لحومنا في قرابينهم ويتبركون بذلك ويتقربون به الى الله تعالى . وأما اليهود فيبغضوننا ويشتموننا ويلعنوننا من غيرذنب منا اليهم ولا جناية عليهم ولكن العداوة بينهم وبين النصارى وأبناء الروم وأما الارمن فحكمنا عندهم حكم الغنم والبقر عند غيرهم يتبركون بنا

لخصب أبداننا وسمن لحومنا وكثرة نتاجنا . وأما الاطباء اليونانيون فيتداوون بشحومنا ويضعونها في أدويتهم ومعالجاتهم . وأماساسة الدواب فيخالطونها بدوائهم وعلفهم لان حالها تصلح عندهم بمخالطتنا وشمها من روائحنا. واما المعزمون والراقون فيتواضعون جلودنا فى كتبهم وعزائمهم ورقاهم ومخاريقهم. وأما الاساكفة والخرازون فيتنافسون في شعور اعرافنا ويبادرون فى نتف سبلتنا لشدة حاجتهم اليها : فقد تحيرنا لاندرى لمن نشكو وممن نشكو فنتظلم .

فلما فرغ الخنزير من كلامه التفت الحمار الى الارنب وكان واقفا بين يدى الجمل فقال له تكلم واذكر مايلقى معاشر الارانب من جور بنى آدم واشك الى الملك الرحيم لعله يرحمنا وينظر في أمورنا وفك أسرنا من أيدى بني آدم . — فقال الارنب : أمانحن فقد برئنا من بنى آدم وتركنا دخول ديارهم وآوينا الدحال والغياض وسلمنا من شرهم . ولكن بلينا بالكلاب والجوارح والخيل ومعاونتهم لبني آدم علينا وحملهم الينا وطلبهم لنا ولاخواننا من الغزلان وحمير الوحش وبقرها وأيلها والوعول الساكنة في الجبال اعتصاما بها . ثم قال الارنب : أما الكلاب والجوارح فهم معذورون فى معاونة الانس علينا بما لها من السبب فى أكل لحومنا لانها ليست من أبناء جنسنا بل من السباع . وأما الخيل فانها معاشر البهائم وليس لها نصيب من أكل لحومنا فما لها ومعاونة الانس علينا أولا الجهالة وقلة المعرفة والتحصيل للامور والحقائق

في بيان تفضيل الخيل على سائر البهائم

قال الانسي للأرنب : اقصر فقد أكثرت اللوم والذم للخيل ولو علمت انه خير حيوان سخر للانس لما تكلمت بهذا . — قال الملك للانسي : ماتلك الخيرية التى قلت اذكرها ؟ — قال خصال محمودة واخلاق جميلة وسير عجيبة : من ذلك حسن صورتها وتناسب أعضاء بنيتها وصفاء ألوانها وحسن شعورها وسرعة عدوها وطاعتها لفارسها لانه كيفما صرفها الفارس انقادت له يمنة ويسرة وقداماً وخلفاً في الطلب والهرب والكر والفر وذكاء أنفسها وجودة حواسها وحسن أدبها ، ربما لاتروث ولا تبول مادام راكبها عليها ولا تحرك ذنبها اذا ابتل لئلا يصيب صاحبها . ولها قوة الفيل تحمل راكبها بخوذته وجوشنه وسلاحه مع ماعليها من السرج واللجام والتجافيف وآلة الحديد نحو ألف رطل عند سرعة العدو . ولها صبر الحمار عند اختلاف الطعن في صدرها ونحرها في الهيجاء وسرعة عدوها في الغارات وجريان كجريان السرحان ومشي كمشي الثور في التبختر وخبب كتقريب التنفل وعطفات كعطفات جلمود الصخر اذا حطه السيل . ولها وثبات كوثبات الفهد ومبادرة العدو في الرهان لمن يطلب الغلبة . — فقال الارنب : ولكن مع هذه الخصال الحميدة والاخلاق الجميلة له عيب كبير يغطي هذه الخصال كلها . — قال الملك : ماهو بين لى : — قال جهله وقلة معرفته بالحقائق وذلك أنه يعدو تحت

عدو صاحبه الذى لم يره قط في الهرب مثـل ما يعدو تحت صاحبـه الذى ولد في داره وربي في منزله فى الطلب . ويحمل عدو صاحبـه اليه كما يحمل صاحبه فى طلب عدوه : وما مثـله في هذه الخصال الا كمثل السيف الذى لاروح معه ولا حس ولا معرفة فانه يقطع عنق صاحبـه وصيقله كما يقطع عنق من أراد كسره وتعويجـه ولا يعرف الفرق بينهما .

ثم قال الارنب : ومثل هذه الخصلة موجودة في بني ادم وذلك ان أحدهم ربما يعادي والديه واخوته وأقرباءه ويكيد لهم ويسيء اليهم مثل ما يفعله لعدوه البعيد الذى لم ير منه براولا احسانا قط . وذلك ان هؤلاء الانس يشربون ألبان هؤلاء الانعام كما يشربون ألبان أمهاتهم ويركبون ظهور هذه البهائم كما يركبون أكتاف آبائهم وهم صغار وينتفعون بأصوافها وأوبارها دثارا وأثاثا ومتاعاً ثم آخر الامر يذبحونها ويسلخون جلودها ويشـقون أجوافها ويقطعون مفاصلها ويذيقونها نار الطبخ والشي ولا يرحمونها ولا يذكرون احسانها اليهم وما نالوا من فضلها وبركاتها

ولما فرغ الارنب من لومه للانسي والخيل قال له الحمار لاتكثر اللوم فانه ما من أحد من الخلق أعطي فضائل جمة الا وقد حرم ما هو أكبر منها . وما من أحد حرم مواهب الا وقـد أعطى شيئا لم يعطه غـيره لان مواهب الله كثيرة لا يستوفيها كلها شخص واحـد ولا ينفرد بها نوع ولا جنس بل قد فرقت على الخلق طرا فمكثر ومقل . وما من شخص آثار الربوبية عليه أظهر الا ورق العبودية عليه أبين

مثل ذلك نيرا الفلك وهما الشمس والقمر فانهما لما أعطيا من مواهب الله تعالى حظا جزيلا من النور والعظمة والظهور والجلالة حتى انه ربما توهمهما قوم ربين الهين لبيان آثار الربوبية فيهما حرما التحرز من الكسوف ليكون ذلك دليلا لاولى الالباب على انهما لو كانا الهين لما انكسفا . وهكذا حكم سائر الكواكب لما أعطيت الانوار الساطعة والافلاك الدائرة والاعمار الطويلة حرمت التحرز من الاحتراق والرجوع والهبوط لتكون آثار العبودية عليها ظاهرة . وهذا حكم سائر الخلق من الجن والانس والملائكة فما منها أحد أعطي فضائل جميلة ومواهب جزيلة الا وقد حرم ماهو أكبر : وانما الكمال لله تعالى الواحد القهار .

فلما فرغ الحمار من كلامه تكلم الثور وقال : ولكن ينبغى لمن وفر حظه من مواهب الله تعالى أن يؤدى شكرها وهو ان يتصدق من فضل ما أعطي على من قد حرم ولم يرزق منها شيئا . ألا ترى أن الشمس لما وفرت حظا جزيلا من النور كيف تفيض من نورها على الخلائق ولا تمن عليهم ؟ وكذلك القمر والكواكب يفيض كل واحد منها على قدره وكان سبيل هؤلاء الانس لما أعطوا من مواهب الله ما قد حرم غيرهم من الحيوان أن يتصدقوا عليها ولا يمنوا عليها .

فلما فرغ الثور من كلامه صاحت البهائم والانعام وقالت : ارحمنا أيها الملك العادل الكريم وخلصنا من جور هؤلاء الآدميين الظلمة . فالتفت ملك الجن الى جماعة ممن حضر من حكماء الجن

وعلمائهم فقال: اما تسمعون شكاية هذه البهائم والانعام وما يصفن من جور بني آدم عليها وظلمهم وتعديهم عليها وقلة رحمتهم ؟ — فقالوا قد سمعنا كل ماقالوا وهو حق وصدق ومشاهد منهم ليلا ونهارا لا يخفي علي العقلاء ومن أجل هذا هربت بنوا الجان من بين ظهرانيهم الي البراری والقفار والمفاوز ورؤوس الجبال والتلال وبطون الاودية وسواحل البحار لما رأت من سوء أفعالهم ورداءة أخلاقهم وأبت أن تأوی ديار بني آدم . ومع هذه الخصال كلها لا يتخلصون من سوء ظنهم ورداءة اعتقادهم في الجن وذلك انهم يعتقدون أن للجن والانس نزغات وخبطات وفزعات فی نسائهم وصبيانهم وجهالهم حتى انهم يتعوذون من شر الجن بالتعاويذ والرقي والاحراز والتمائم وما شاكلها ولم ير قط حتي قتل انسيا أو جرحه أو أخذ ثيابه أو سرق متاعه أو نقب داره أو فتق جيبه أو بط كمه أو فش قفله أو قطع علي مسافر أو خرج على سلطان أو أغار غارة أو أخذ أسيرا بل كل هذه الخصال توجد فيهم ومنهم بعضهم لبعض ليلا ونهارا ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون .

فلما فرغ القائل من كلامه نادى مناد ألا أيها الملأ أمسيتم فانصرفوا الى أماكنكم مكرمين لتعودوا غدا ان شاء الله آمنين .

في بيان منفعة المشاورة لذوي الرأي

ثم ان الملك لما قام عن المجلس خلا بوزيره بيدار وكان رجلا عاقلا رزينا فيلسوفا فقال له الملك : قد شاهدت المجلس وسمعت ماجرى بين هؤلاء الطوائف الواردين من الكلام والاقاويل وعلمت ماجاؤا له فماذا تشير ان نفعل بهم وما الصواب عندك ؟ — قال الوزير : أيد الله الملك وسدده وهداه للرشاد.. الرأي الصواب عندي أن يأمر الملك قضاة الجن وفقهاءها وحكماءها وأهل الرأي أن يجتمعوا عنده ويستشيرهم في هذا الامر فان هذه قضية عظيمة وخطب جليل وخصومة طويلة والامر فيها مشكل جدا ، والرأي مشترك والمشاورة تزيد ذا الرأي المرضي بصيرة وتفيد المتحير رشدا والحازم اللبيب معرفة ويقينا .

قال الملك نعم ماقلت وصواب مارأيت ثم أمر الملك باحضار قضاة الجن من آل برجيس والفقهاء من آل ناهيد وأهل الرأي من بني بيران والحكماء من أهل لقمان وأهل التجارب من بني هامان والفلاسفة من بني كيوان وأهل الصريمة والعزيمة من آل بهرام . فلما اجتمعوا عنده خلا بهم ثم قال علمتم ورود هذه الطوائف الى بلادنا ونزولهم بساحتنا ورأيتم حضورهم في مجلسنا وقد سمعتم أقاويلهم ومناظراتهم وشكاية هذه البهائم الاسيرة من جور بني آدم وقد استجاروا بنا واستذموا بذمامنا فماذا ترون وما الذي تشيرون أن يفعل بهم ؟

قال رئيس الفقهاء من أهل ناهيد : بسط الله يد الملك بالقدرة ووفقه للصواب . الرأى عندى أن يأمر الملك هـذه البهائم أن يكتبوا قصة يذكرون فيها مايلقون من جور بني ادم ويأخـذون فيهـا فتاوي الفقهاء فان فى هذا خلاصا لهم من جورهم ونجاة من الظلم فان القاضي سيحكم لهم اما بالبيع أو بالعتق أو بالتخفيف والاحسان اليهم ، فان لم يفعل بنو آدم ماحكم القاضى وهربت هذه البهائم فـلا وزر عليها ؟

فقال الملك للجماعة : فمـاذا ترون فيما قال وأشار : قالوا صوابا ورشدا غـير صاحب العزيمـة من آل بهرام فانه قال : أرأيتم اذا استباعت هذه البهائم وأجابها بنو آدم الى ذلك من ذا الذى يزن أثمانها ؟ — قال الفقيه : الملك . قال من أين ؟ — قال من بيت مال المسلمين من الجن . قال صاحب الرأى : ليس في بيت مال المسلمين من الجن مايفي بأثمـانها وأيضا كثـير من بني آدم لايرغبون في بيعها لشدة حاجتهم اليها واستغنائهم عن أثمـانها مثل المـلوك والاشراف والاغنياء . هذا أمر لايتم فلا تتبعوا أفكاركم فيها . قال الملك : فمـا الرأى الصواب عندك ؟ — قال الصواب عندى أن يأمر الملك هذه البهائم والانعام الاسيرة فى أيدى بني آدم أن تجمع رأيها وتهرب كلها في ليلة واحدة وتبعد من ديار بني آدم كما فعلت حمير الوحش والغزلان فان بني آدم اذا أصبحوا لايجـدون مايركبون ولا مايحملون عليـه أثقالهم في طلبها لبعد المسافة ومشقة الطريق فيكون فى هذا نجاة لهم

فعزم الملك على هذا الرأى ثم قال لمن كان عنـده : ماذا ترون ،

فيما قال صاحب الرأى ؟ . قال رئيس الحكماء من آل لقمان : هذا عندى أمر لايتم لانه بعيد المرام لان أكثر هذه البهائم تكون بالليل مقيدة والابواب عليها مغلقة فكيف يستوى لها الهرب فى ليلة واحدة قال صاحب العزيمة يبعث الملك تلك الليلة قبائل الجن يفتحون لها الابواب ويحلون عقالها ووثاقها و يضبطون حراسها الى أن يبعد هذه البهائم من ديارهم . واعلم أيها الملك بان لك في هذا أجرا عظيما وقد محضت النصيحة لما أدركني من الرحمة لها فان الله تعالى اذا علم من الملك حسن النية وصحة العزم فانه يعينه و يؤيده و ينصره ان شكر نعمه بمعاونة المظلومين وتخليص المكر و بين فانه يقال ان في بعض كتب الانبياء مكتوبا : « يقول الله سبحانه أيها الملك المسلط اني لم أسلطك لتجمع المال وتتمتع بالشهوات واللذات ولكن لترد عنى دعوة المظلوم فاني لا أردها ولو كانت من كافر . »

فعزم الملك على ما أشار به صاحب الرأى ثم قال لمن حوله من الحاضرين : ماذا ترون فيما قال ؟ — قالوا محض النصيحة و بذل المجهود فصدقوا رأيه أجمعون غير الفيلسوف من آل كيوان فانه قال بصرك الله أيها الملك خفيات الامور وكشف عن بصرك مشكلات الاسباب . ان في هذا العمل خطبا جليلا لا يؤمن غائلته ولا يستدرك اصلاح مافات ومرمة مافرط . قال الملك للفيلسوف ؟ عرفنا ما الرأى وما الذى تخاف وتحذر . بين لنا لنكون على علم و بصيرة . — قال : نعم أيها الملك غلط من أشار عليك من وجه نجاة هذه البهائم من

أيدى بنى آدم . أليس بنو آدم اذ يصبحون من الغد و يطلعون على فرار هـذه البهائم وهربها من ديارهم علموا يقينا بان ذلك ليس هو شيئا من فعل الانس ولا من تدمير البهائم فلا يشكون ان ذلك من فعل الجن وحيلهم ؟ ـ قال الملك : لاشك فيه . قال أليس بعد ذلك كلما فكر بنو آدم فيما فاتهم من المنافع والمرافق بهربها منهم امتلأوا غما وحزنا وغيظا وأسفا على مافاتهم وحقدوا على بنى الجان عداوة و بغضا وأضمروا لهم حيلا ومكائد و يطلبونهم كل مطلب ويرصدونهم كل مرصد ويقع بنو الجان عند ذلك في شغل وعداوة ووجل بعد ما كانوا في غناء عنه وقد قال الحكماء : ان اللبيب العاقل هو الذى يصلح بين الاعداء ولا يجلب لنفسه عداوة بنفسه ولا بغيره . قالت الجماعة صدق الفيلسوف الحكيم

ثم قال قائل من الحكماء : ما الذى تخاف وتحذر من عداوة الانس لبني الجان أن ينالهم من المكاره ؟ قد علمت ان بنى الجان أرواح خفيفة نارية تتحرك علوا طبعا و بنو آدم أجسام أرضية ثقيلة تتحرك بالطبع سفلا ، ونحن نراهم وهم لايروننا ونسرى فيهم وهم لايحسوننا . ونحن نحيط بهم وهم لا يمسوننا . فأى شيء نخاف منهم علينا أيها الحكيم ؟

فقال له الحكيم هيهات ذهب عنك أعظمها وخفي عليك اجلها أما علمت انه بني آدم وان كانت لهم أجسام أرضية فان لهم أيضا أرواحا فلكية ونفوسا ناطقة ملكية بها يضلون عليكم و يغتالون لكم

واعلموا ان لكم فيما مضي من أخبار القرون الاولى عبرا وفيما جرى بين بنى آدم و بني الجان في الدهور السالفة تجارب . فقال الملك : خبرنا أيها الحكيم كيف كان وحدثنا بما جرى من الخطوب

(فى بيان بدء العداوة بين الجان و بني آدم)

قال الحكيم : نعم ان بين بني آدم و بين الجان عداوة طبيعية وعصبية جبلية وطباعاً متنافرة يطول شرحها . قال الملك : اذكر لنا طرفاً مما تيسر وابتدئ من اوله . قال الحكيم : نعم ان في قديم الايام والازمان قبل خلق ابي البشر كان سكان الارض وقاطنوها بني الجان وكانوا قد اطبقوا الارض بحرا و برا وسهلا وجبلا فطالت اعمارهم وكثرت النعمة عندهم وكان فيهم الملك والنبوة والدين والشريعة فطغت وبغت وتركت وصايا انبيائهم وا كثرت في الارض الفساد فضجت الارض ومن عليها من جورهم . فلما انقضي الدور واستأنف القرن ارسل الله جندا من الملائكة نزلت من السماء فسكنت في الارض وطردت بني الجان الى اطراف الارض منهزمة واخذت سبايا كثيرة منها وكان فيمن أخذ اسيرا عزازيل ابليس اللعين فرعون آدم وحواء وهو اذ ذاك صبي لم يدرك . فلما نشأ مع الملائكة تعلم من علمها وتشبه بها فى ظاهر الامر ورسمه وجوهره غير رسومها وجوهرها فلما تطاولت الايام صار رئيساً فيها آمرا وناهياً متبوعاً حيناً ودهرا من

الزمان . فلما انقضى الدور واستأنف القرن اوحي الله الى اولئك الملائكة الذين كانوا في الارض فقال لهم « اني جاعل فى الارض خليفة » من غيركم وارفعكم الى السماء . فكرهت الملائكه الذين كانوا في الارض مفارقة الوطن المألوف وقالت في مراجعتا الجواب « أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء » كما كانت بنو الجان « ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم مالا تعلمون » لاني آليت على نفسي ان لااترك آخر الامر بعد انقضاء دولة آدم وذريته على وجه الارض احـدا من الملائكة ولا من الجن ولا من الانس ولا من سائر الحيوانات الا ما اريد . ولهذه اليمين سر قد بيناه في موضع آخر .

فلما خلق آدم فسواه ونفخ فيه من روحه وخلق منه زوجته حواء امر الملائكة الذين كانوا فى الارض بالسجود له والطاعة فانقادت له الملائكة باجمعهم غير عزازيل فانه أنف وتكبر واخذته حمية الجاهلية والحسد لما رأى انه قد زالت رئاسته واحتاج ان يكون تابعا بعد ان كان متبوعاً ومرؤوساً بعد ان كان رئيسا واوحي الله تعالى الي اولئك الملائكة ان اصعدوا بآدم الى السماء فأدخلوه الجنة ثم اوحي الله تعالى الى آدم عليه السلام وقال « يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . » وهذه الجنة بستان بالمشرق على رأس جبل الياقوت الذى لايقدر احد من البشر ان يصعد الى هناك وهي طيبة التربة معتدلة الهواء

شتاء وصيفاً ليلا ونهارا كثيرة الانهار مخضرة الأشجار متننة الفواكه والثمار والرياض والرياحين والازهار كثيرة الحيوانات غير المؤذية والطيور الطيبة الاصوات اللذيذة الالحان والنغمات . وكان على رأس آدم وحواء شعر طويل مدلى كاحسن ما يكون على الجواري الابكار ويبلغ قدميهما ويستر عورتيهما وكان دثارا لهما وسترا وزينة وجمالا وكانا يمشيان على حافات تلك الأنهار بين الرياحين والاشجار ويأكلان من الوان تلك الثمر ويشربان من مياه تلك الأنهار بلا تعب من الابدان ولا عناء من النفوس ولا شقاء من الحرث والزرع والسقي والحصاد والدياس والطحن والعجن والخبز والغزل والنسج والغسل وما في هذه الايام اولادهما مبتلون به من شقاوة اسباب المعاش في هذه الدنيا . وكان حكمهما في تلك الجنة كحكم احد الحيوانات التي هناك مستودعين مستمتعين مستريحين متلذذين .

وكان الله تعالى ألهم آدم اسماء تلك الاشجار والثمار والرياحين واسماء تلك الحيوانات التي هناك فلما نطق آدم سأل الملائكة عنها فلم يكن عندها جواب فقعد عند آدم معلماً يعرفها اسماءها ومنافعها ومضارها فانقادت الملائكة لامره ونهيه لما تبين لها من فضله عليها. ولما رأى عزازيل ذلك ازداد حسدا وبغضاً فاحتال لهما المكر والخديعة والحيل غدا وعشياً ثم أتاهما بصورة الناصح فقال لهما لقد فضلكما الله بما انعم عليكما به من الفصاحة والبيان ولو أكلتما من هذه الشجرة لازددتما علماً ويقيناً وبقيتما ههنا خالدين آمنين لا تموتان ابدا.

فاغترا بقوله لمما حاف لهما أني لكما لمن الناصحين . وحملهما الحرص .
و بادرا فتناولا ما كانا منهيين عنه . فلما أكلا منها تناثر شعرهما
وانكشفت عورتهما و بقيا عريانين وأصابهما حر الشمس فاسودت
أبدانهما ورأت الحيوانات حالهما ونفرت منهما وأمر الله الملائكة أن
أخرجوهما من هناك وارموا بهما الى أسفل الجبل . فوقعا في موضع
قفر لا نبت فيه ولا ثمر و بقيا هناك زمانا طويلا يبكيان و ينوحان حزنا
وأسفا على مافاتهما نادمين على ما كان منهما . ثم ان رحمة الله
تداركتهما فتاب الله عليهما وارسل ملكا يعلمهما الحرث والزرع
والحصاد والدياس والطحن والخبز والغزل والنسج والخياطة واتخاذ
اللباس . ولما توالدا وكثرت ذريتهما خالطهم اولاد بني الجان وعلموهم
الصنائع والحرث والغرس والبنيان والمنافع والمضار وصادقوهم وتوددوا
اليهم وعاشروهم مدة من الزمان بالحسني .

ولكن كلما ذكر بنو آدم ما جرى على ابيهم من كيد عزازيل
ابليس اللعين وعداوته لهم امتلأت قلوب بنى آدم غيظاً و بغضاً وحنقا
على اولاد بني الجان . فلما قتل قابيل هابيل اعتقدت أولاد هابيل أن
ذلك كان من تعليم بني الجان فازدادوا غضباً وطلبوهم كل مطلب
واحتالوا لهم بكل حيلة من العزائم والرقي والمنادل والحبس في القوارير
والعذاب بانواع الادخنة والبخورات المؤذية لاولاد الجان المنفرة لهم
المشتتة لامرهم . وكان ذلك دأبهم الى ان بعث الله تعالى ادريس
النبي عليه السلام فاصلح بين بني الجان و بنى آدم بالدين والشريعة

والاسلام والملة وتراجعت بنو الجان الي ديار بنى آدم وخالطوهم
وعاشوا معهم بخير الى ايام الطوفان و بعد ذلك الى ايام ابراهيم الخليل.
فلما طرح في النار اعتقد بنو آدم بان تعليم المنجنيق كان من بني الجان
لنمرود الجبار . ولما طرح اخوة يوسف اخاهم فى البئر نسب ذلك
ايضا الى نزعات الشيطان من اولاد الجان فلما بعث موسي اصلح بين
بني الجان و بني اسرائيل بالدين والشريعة ودخل كثير من الجن
في دين موسي . فلما كان ايام سليمان بن داود وشدد الله ملكه وسخرله
الجن والشياطين وغلب سليمان على ملوك الارض افتخرت الجن على
الانس بان ذلك عن معاونة الجن لسليمان فقالت لولا معاونة الجن
لسليمان لكان حكمه حكم احد الملوك بني آدم وكانت الجن توهم
الانس أنها تعلم الغيب . ولما مات سليمان والجن كانوا في العذاب
المهين ولم يشعروا بموته فتبين للانس أنها لوكانت تعلم الغيب ما لبثت
في العذاب المهين . وايضاً لما جاء الهدهد بخبر بلقيس وقال سليمان
للملاء الجن والانس أيكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين افتخرت
الجن وقال عفريت منهم انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك اى
من مجلس الحكم وهو اصطوس من الايوان . قال سليمان اريد
اسرع من ذلك . فقال الذى عنده علم من الكتاب وهو آصف
ابن برخياء انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك . فلما رآه مستقرا
عنده خر سليمان ساجداً لله حين تبين فضل الانس علي الجن وانقضي
المجلس وانصرفت الجن من هناك خجلين منكسين رؤسهم وغوغاء

الانس يطقطقون في اثرهم و يصفقون خلفهم شامتين بهم . فلما جرى ما ذكرت هربت طائفة من الجن من سليمان وخرج عليه خارجي منهم فوجه سليمان فى ظلبه قوماً من جنوده وعلمهم كيف يأخذونهم بالرقي والعزائم والكلمات والآيات المنزلات وكيف يحبسونهم بالمنادل وعمل لذلك كتابا وجد فى خزانته بعد موته . واشغل سليمان طغاة الجن بالاعمال الشاقة الى ان مات .

ولما ان بعث المسيح ودعا الخلق من الجن والانس الى الله تعالى ورغبهم في لقائه و بين لهم طريق الهدى وعلمهم كيف الصعود الى ملكوت السموات فدخل فى دينه طوائف من الجن وترهبت وارتقت الى هناك وسمعت من الملأ الاعلي الى الاخبار وألقت الى الكهنة فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم منعت من استراق السمع فقالت لاندرى اشر اريد بمن في الارض أم أراد بهم ربهم رشدا . ودخلت قبائل من الجن في دينه وحسن اسلامها وصلح الامر بين الجان و بين المسلمين من اولاد آدم الى يومنا هذا . ثم قال الحكيم يامعشر الجن لاتتعرضوا لهم ولا تفسدوا الحال بينكم و بينهم ولا تحركوا الاحقاد الساكنة ولا تثيروا العداوة القديمة المركوزة فى الطبائع والجبلة فانها كالنار الكامنة في الاحجار تظهر عند احتكاكها فتشتعل بالكبريت فتحرق المنازل والاسواق نعوذ بالله من ظفر الاشرار ودولة الفجار التي هي سبب العار والبوار .

فلما سمع الملك هذه القصة العجيبة اطرق متفكرا مما سمع ثم قال

الملك : ايها الحكيم ما الرأى الصواب عندك فى امر هذه الطوائف الواردة المستجيرة بنا وعلى اى حال نصرفهم من بلدنا راضين بالحكم الصواب ؟ — قال : الرأى الصواب لاينتج الا بعد التثبت والتأني والروية والاعتبار بالامور الماضية . والرأى عندى ان يجلس الملك غداً في مجلس النظر ويحضر الخصوم ويسمع منهم ما يقولون من الحجج والبينات ليتبين له الى من يتوجه الحكم ثم يدبر الرأى بعد ذلك .

فقال صاحب العزيمة : أرأيتم ان عجزت هذه البهائم عن مقاومة الانس فى الخطاب لقصورها عن الفصاحة والبيان واستظهرت الانس عليها بذرابة ألسنتها وجودة عبارتها وفصاحتها أنترك هذه البهائم اسيرة فى ايديهم يسومونها سوء العذاب دائماً ؟ — قال لا ولكن تصير هذه البهائم في الاسر والعبودية الى ان ينقضي دور القرن و يستأنف نشاء آخر و يأتي الله بالفرج والخلاص كما نجا آل اسرائيل من عذاب آل فرعون وكما نجا آل داود من عذاب بختنصر وكما نجا آل حمير من عذاب آل تبع وكما نجا آل ساسان من عذاب آل يونان وكما نجا آل عدنان من عذاب آل اردشير فان ايام هذه الدنيا دول بين اهلها تدور باذن الله وسابق علمه ونفاذ مشيئته بموجبات احكام القرانات والادوار في كل ألف سنة مرة او فى كل اثني عشر الف سنة مرة او في كل ستة وثلثين الف سنة مرة او فى كل ثلثمائة وستين الف سنة مرة او فى كل يوم مقداره خمسون الف سنة .

في بيان كيفية استخراج العامة اسرار الملوك

ولما خلا الملك ذلك اليوم بوزيره اجتمعت جماعة الإنس في مجلس لهم وكانوا سبعين رجلا من بلدان شتى فاخذوا يرجمون الظنون فقال قائل منهم : قد رأيتم وسمعتم ماجرى اليوم بيننا و بين هؤلاء عبيدنا من الكلام والخطاب الطويل ولم تنفصل الخصومة أفتدرون أى شيء رأى الملك فى أمرنا ؟ فقالوا لاندرى ولكن نظن انه قد لحق الملك من ذلك ضجر وشغل قلب وانه لايجلس غدا للحكومة بيننا و بينهم ، وقال آخر : أظن انه يخلو غدا مع الوزير و يشاوره في أمرنا ، وقال آخر: بل يجمع غدا الحكماء والفقهاء ويشاورهم في أمرنا . قال آخر : لاندرى ما الذى يشيرون به في أمرنا وأظن ان الملك حسن الرأى فينا ، وقال آخر : ولكن أخاف أن الوزير يميل علينا و يحيف في أمرنا ، وقال آخر : أمر الوزير سهل يحمل اليه شيء من الهدايا ليميل جانبه و يحسن رأيه فينا . قال آخر : ولكن أخاف من شيء آخر . — قالوا وما هو ؟ — قال فتاوى العلماء وحكم القاضي قالوا : هؤلاء أمرهم أيضا سهل يحمل اليهم شيء من التحف والرشوة فيحسن رأيهم فينا و يطلبون لنا حيلا فقهية ولا يبالون بتغيير الاحكام بيننا ولكن الذى يخاف منه هو صاحب العزيمة فانه صاحب الرأى الصواب والصرامة صلب الوجه وقح ولا يحابي احدا فان استشاره أخاف أن يشير اليه بمعاونة لعبيدنا علينا و يعلمه كيف ينزعها من أيدينا

قال آخر : القول كما قلت ولكن أن استشار الملك الحكماء والفلاسفة فلا بد أنهم يتخالفون في الرأى فان الحكماء اذا اجتمعت ونظرت في الأمر سنح لكل واحد منهم وجه من الرأى غير الذى سنح للآخر فيختلفون فيما يشيرون به اليه ولا يكادون يجتمعون على رأى واحد ، قال آخر : أرأيتم ان استشار الملك الفقهاء والقضاة ماذا يشيرون به اليه فى أمرنا ؟ فقال قائل منهم : لاتخلو فتاوى العلماء وحكم القاضي من احدى ثلاثة وجوه : أما عتقها وتخليتها من أيدينا أو بيعها واخذ أثمانها أوالتخفيف عنها والاحسان اليها . ليس في حكم الشريعة من أحكام الدين غير الوجوه الثلاثة . قال آخر : ان استشار الملك الوزير ماذا يشير اليه ؟ قال قائل منهم : أظن أنه سيقول له ان هذه الطوائف قد نزلوا بساحتنا واستذموا بذمامنا واستجاروا بنا وهم مظلومون ونصرة المظلوم واجبة علي الملك المقسط لانهم خلفاء الله في أرضه وانه ملكهم على عباده و بلاده ليحكموا بين خلقه بالعدل والانصاف ويعينوا الضعفاء ويرحموا أهل البلاء ويقمعوا الظلمة ويجبروا الخلق على أحكام الشريعة ويحكموا بينهم بالحق شكرا لنعم الله لديهم وخوفا من مسائلته غدا يوم القيامة لهم ، وقال آخر : أرأيتم ان أمر الملك القاضي أن يحكم بيننا فيحكم باحد الاحكام الثلاثة ماذا تفعلون ؟ قالوا ليس لنا أن نخرج من حكم الملك والقاضى لان القضاة خلفاء الانبياء والملك حارس الدين ؟ وقال آخر : أرأيتم ان حكم القاضي بعتقها وتخلية سبيلها ماذا تصنعون قال آخر : تقول هي عبيدنا ومماليكنا

ورثناهم عن آبائنا وأجدادنا ونحن بالخيار ان شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل. قالوا : فان قال القاضي هاتوا الصكوك والوثائق والعهود والشهود بان هؤلاء عبيدكم ورثتموهم عن ابائكم ؟ قلنا نجيء بالشهود من جيراننا وعدول بلداننا. قال : فان قال القاضي لا أقبل شهادة الانس بعضهم لبعض على هذه البهائم انها عبيد لهم لان كلهم خصماء لها وشهادة الخصم لاتقبل في أحكام الدين . أو يقول القاضي أين الصكوك والوثائق والعهود هاتوها وأحضروها ان كنتم صادقين ماذا نقول ونفعل ؟

فلم يكن عند الجماعة جواب لذلك الا عند الاعرابى فانه قال : نقول قد كانت لنا عهود ووثائق وصكوك ولكنها غرقت في أيام الطوفان . فان قال احلفوا بايمان مغلظة بانها عبيد لكم . نقول اليمين على من انكر ونحن مدعون . قال : فان استحلف القاضي هذه البهائم فحلفت انها ليست بعبيد لكم فماذا تقولون ؟ قال قائل منهم : نقول انها حنثت فيما حلفت ولنا حجج عقلية وبراهين ضرورية تدل على انها عبيد لنا . قال أرأيتم ان حكم القاضي ببيعها واخذ أثمانها فماذا تفعلون ؟ — قال أهل المدن : نبيعها ونأخذ أثمانها وننتفع بها وقال أهل الوبر من الاعراب والاكراد والاتراك : هلكنا والله ان فعلنا ذلك . الله الله في أمورنا ولا تحدثوا أنفسكم بهذا . قال أهل المدن لم ذلك ؟ قالوا : لانا اذا فعلنا ذلك بقينا بلا لبن نشرب ولا لحم نأكل ولا ثياب من صوف ولا دثار من وبر ولا أثاث من شعر ولا

نعال ولا خفاف ولا غطاء ولا وطاء فنبقي عراة حفاة أشقياء بسوء الحال ويكون الموت لنا خيرا من الحياة ويصيب أيضا أهل المدن مثل ما أصابنا لحاجتهم اليها فلا تبيعوها ولا تعتقوها ولا تحدثوا أنفسكم بهذا بل لاترضوا الا بالاحسان اليها والتخفيف عنها والرفق بها فانها لحم ودم مثلكم وتحس وتألم ولم تكن لكم سابقة عند الله جازاكم بها حين سخرها لكم ولا كان لها جناية عند الله عاقبها بها ولا ذنب ولكن الله يفعل مايشاء ويحكم مايريد لامبدل لحكمه ولا مرد لقضائه ولا منازع له فى ملكه ولا خلاف لمعلومه ، أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم

ولما قام الملك من مجلسه وانصرفت الطوائف الحاضرات واجتمعت البهائم فخلصت نجيا فقال قائل : قد سمعتم ماجرى بيننا وبين خصمائنا من الكلام والمناظرة ولم تنفصل الخصومة فما الرأى عندكم ؟— قال قائل منهم : نعود من غد نشكو ونبكي ونتظلم فلعل الملك يرحمنا ويفك أسرنا فانه قد أدركته الرحمة علينا اليوم ولكن ليس من الرأي الصواب للملوك والحكام أن يحكموا بين الخصمين الا بعد أن يتوجه الحكم على احد الخصمين بالحجة الواضحة والبينة العادلة والحجة لاتصح الا بالفصاحة والبيان وذرابة اللسان وهذا حاكم الحكام رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « انكم تختصمون الى ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاحكم له . فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذن منه شيئا فاني انما أقطع له قطعة من النار . » وأعلموا ان الانس

افصح لسانا منا وأجود بيانا وانا أخاف أن يحكم لهم علينا عند الحجاج والنظر ، فما الرأى الصواب عندكم ؟ قولوا فان كل واحد من الجماعة اذا فكر سنح له وجه من الرأى صائبا كان أو خطأ .

قال قائل منهم : الرأى الصواب عندنا ان نبعث رسلا الى سائر أجناس الحيوانات ونعرفها الخبر ونسألهم أن يبعثوا الينا زعماءهم وخطباءهم ليعاونوا فيما نحن نسأله فان كل جنس منها لها فضيلة ليست للآخر وضروب من التمييز والرأى الصواب والفصاحة وان كثرت الانصار رجى الفلاح والنجاة والنصر من الله تعالى فانه ينصر من يشاء والعاقبة للمتقين .

فقالت الجماعة : حينئذ صوابا رأيت ونعم ما أشرت فارسلوا ستة نفر الى ستة أجناس من الحيوانات وسابعها هم حضور من البهائم والانعام . رسولا الى السباع ورسولا الى الجوارح ورسولا الى الطير ورسولا الى الحشرات ورسولا الى الهوام ورسولا الى حيوان الماء ثم بعد ذلك رتبوا الرسل و بعثوا الى كل واحد منها

في بيان تتابع الرسالة كيف يكون

ولما وصل الرسول الى ابي الحارث الاسد ملك السباع وعرفه الخبر قال له : ان لزعماء البهائم والأنعام مع زعماء الأنس عند ملك الجن مناظرة وقد بعثوا الى سائر اجناس الحيوانات يستمدون منها وقد بعثوني اليك لترسل معى زعيما من جنودك من السباع ليناظر و ينوب

عن الجماعة من ابناء جنسه اذا دارت النوبة في الخطاب اليه . فقال الملك للرسول : مايزعم الانس وما يدعون على البهائم والانعام ؟ — قال الرسول : يزعمون انها عبيد لهم وانهم اربابها ولسائر الحيوانات التي على وجه الارض . قال الاسد : بماذا يفتخرون علينا و يستحقون الربوبية أبالقوة والشدة ؟ او بالشجاعة والجسارة ؟ او بالحملات والوثبات ؟ ام بالقبض والامساك بالمخاليب ؟ ام بالقتال والوقوف في الحرب ؟ ام بالهيبة والغلبة ؟ فان كانوا يفتخرون بواحدة من هذه الخصال جمعت جنودي ثم ذهبنا لنحمل عليهم حملة واحدة نفرق جمعهم ونبيد أصلهم . قال الرسول : لعمرى ان فى الانس من يفتخر بهذه الخصال التي يذكرها الملك ولهم مع ذلك اعمال وصنائع وحيل ورفق من اتخاذ السلاح الشاك من السيوف والرماح والزوبينات والحربات والسكاكين والنشاب والقسى والجنن والاحتراز من السباع ومخالبها وانيابها باتخاذ لباس اللبود والقزاغنديات والجواشن والدروع والخوذ والزرود مالا ينفذ فيها انياب السباع ولا تصل اليها مخالبها الحداد ولهم مع ذلك حيل اخرى فى اخذ السباع والوحوش من الخنادق المحفورة والوأبات المستورة بالتراب والحشيش والصناديق المعمولة والفخاخ المنصوبة والوهاد وآلات أخر لا تعرفها السباع فتحذرها ولا تهتدى كيف الخلاص منها اذا هى وقعت فيها . ولكن ليس الحكومة ولا المناظرة بحضرة ملك الجن فى خصلة من هذه وانما الحجاج بفصاحة الالسنة وجودة البيان ورجحان العقول ودقة التمييز .

فلما سمع الاسد قول الرسول وما اخبره فكر ساعة ثم امر فنادي مناد فاجتمع عنده جنوده من اصناف السباع واصناف القرود وبنات عرس وبالجملة كل ذي مخلب وناب يأكل اللحم . فلما اجتمعت عند الملك عرفها الخبر وما قال الرسول ثم قال ايكم يذهب الى هناك فينوب عن الجماعة فنضمن له ما يدبر ويتمني علينا من الكرامة اذا هو انجح بهم في المناظرة وحج في الحجاج ؟ فسكتت السباع ساعة مفكرة هل يصاح احد لهذا الشان ام لا . ثم قال النمر للاسد — وهو وزيره — انت ملكنا وسيدنا ونحن عبيدك ورعيتك وجنودك وسبيل الملك ان يدبر الرأى ويشاور اهل الرأى والبصيرة بالامور ، ثم يأمر وينهى ويرتب الامور كما يجب . وسبيل الرعية ان يسمعوا ويطيعوا لان الملك من الرعية بمنزلة الرأس من الجسد والرعية والجنود له بمنزلة الاعضاء للبدن . فمتى قام كل واحد منهما بما يجب عليه من الشرائط انتظمت الامور واستقامت وكان في ذلك صلاح الجميع وفلاح الكل .

فقال الاسد للنمر : وما تلك الخصال والشرائط التي قلت انها واجبة علي الملك والرعية ؟ بينها لنا . — قال : نعم ان الملك ينبغي ان يكون اديبا لبيبا شجاعا عادلا رحيما عالي الهمة كثير التحنن شديد العزيمة صارما في الامور متأنيا ذا رأى وبصيرة . ومع هذه الخصال ينبغي ان يكون مشفقا على رعيته متحننا علي جنوده واعوانه رحيما بهم كالاب المشفق علي الاولاد ، شديد العناية بصلاح امورهم . واما الذى هو واجب على الرعية والجند والاعوان فالسمع والطاعة للملك

بالمحبة له والنصيحة لاخوانه وان يعرفه كل واحد منهم ما عنده من المعونة وما يحسن من من الصناعة وما يحسن من الاعمال . و يعرف الملك اخلاقه وسجاياه ليكون الملك علي علم يصلح له منه و ينزل كل واحد منزلته و يستخدمه فيما يحسنه و يستعين به فيما يحتاج اليه .

قال الاسد: لقد قلت صوابا ونطقت حقا فبوركت من حكيم ناصح للملك واعوانه وابناء جنسه فما الذى عندك من المعاونة في هذا الأمر الذى دعيت اليه واستعنت فية ؟ قال النمر: سعد نجمك وظفرت يداك ايها الملك ان كان الامر هناك يمشي بالقوة والجلد والغلبة والقهر والحقد والحنق والحمية فانا لها . قال الملك : لا يمشي الامر هناك بشيء مما ذكرت . قال الفهد : ان كان الامر يمشي بالوثبات والقفزات والقبض والضبط فانا لها . قال الملك : لا . قال الذئب : أن كان الامر يمشى هناك بالغارات والخصومات والغطفات والمكابرة فانا لها . قال الملك : لا . قال الثعلب : ان كان الامر يمشي هناك بالحيل والعطفات والروغان وكثرة الالتفات والمكر فانا لها . قال الملك : لا . قال ابن عرس : ان كان الامر هناك يمشي باللصوصة والتجسس والاخفاء والسرقه فانا لها . قال الملك . لا . قال القرد ان كان الامر هناك يمشي بالخيلاء والمحاكاة واللعب واللهو والرقص عند ضرب الدف والطبل فانا لها . قال الملك : لا . قال السنور . ان كان الامر يمشي هناك بالتواضع والسؤال والكدية والمؤانسة والتخرخر فانا لها . قال الملك . لا . قال الكلب . ان كان الامر

يمشي هناك بالبصبصة وتحريك الذنب واتباع الاثر والحراسة والنباح فانا لها . قال الملك . لا . قال الضبع . ان كان الامر هناك يمشي بنبش القبور وجر الجيف وجذب الكلاب والكراع وثقل الروح فانا لها . قال الملك . لا . قال الجرذ . ان كان الامر يمشي هناك بشيء من الاضرار والافساد والسرقة والاخراق فانا لها . قال الملك . لا يمشي الامر بشيء من هذه الخصال التى ذكرتموها .

ثم اقبل ملك السبع وهو الاسد على النمر وقال له : انّ هذه الاخلاق والطباع والسجايا التى ذكرت هذه الطوائف من انفسها لا تصلح الا لجنود الملوك من بني آدم وسلاطينهم وأمرائهم وقادة الجيوش وولاة الحروب وهم اليها أحوج وهم بها أليق لان نفوسهم سبعية وان كانت أجسادهم بشرية وصورهم آدمية ، وأما مجالس العلماء والفقهاء والفلاسفة والحكماء واهل العقل والرأى والتفكر والتمييز والروية فان أخلاقهم وسجاياهم اخلاق الملائكة الذين هم سكان السموات وملوك الافلاك وجنود رب العالمين . فمن ترى يصلح ان نبعثه الى هناك لينوب عن الجماعة ؟ — قال النمر . صدقت ايها الملك فيما قلت . ولكن أرى أنّ العلماء والفقهاء والقضاة من بني آدم قد تركوا هذه الطريقة التى قلت انها أخلاق الملائكة واخذوا في ضروب من اخلاق الشياطين من المكابرة والمغالبة والتعصب والعداوة والبغضاء فيما يتناظرون ويتجادلون من الصياح والجلبة والشناعة وهكذا نجد في مجالس القضاة والحكام يفعلون ماذكرت وتركوا استعمال الادب

والعدل والنصفة . قال الملك صدقت ولكن يجب أن يكون الملك خيرا فاضلا كريما لايميل ولايحيف في الاحكام ، فمن ترى أن نبعث الى هنالك رسولا زعيما يفي بخصال الرسالة اذ ليس في هذه الجماعة الحضور من يفي بها

فى بيان كيفية الرسول كيف ينبغي أن يكون

قال النمر للاسد : فما تلك الخصال التى ذكرت أيها الملك انها تجب أن تكون في الرسول ؟ بينها . قال الملك : نعم أولها يحتاج أن يكون رجلا عاقلا حسن الاخلاق بليغ الكلام فصيح اللسان جيد البيان حافظا لما يسمع متحرزا فيما يجيب ، ويكون مؤديا للامانة حسن العهد مراعيا للحقوق كتوما للسر قليل الفضول في الكلام لايقول من رأيه شيئا غير ماقيل له الا مايرى فيه صلاح المرسل ولا يكون شرها حريصا اذا رأى كرامة عندالمرسل اليه ورغب فيه مال الى جنبه وخان مرسله واستوطن البلد لطيب عيشه هناك أو كرامة يجدها ثم أوشهوات ينالها هناك ، بل يكون ناصحا لمرسله واخوانه وأهل بلده وأبناء جنسه ويبلغ الرسالة ويرجع بسرعة الى مرسله فيعرفه جميع ماجري من أوله الى آخره ولا يحابي فى شيء من تبليغ الرسالة مخافة من مكروه يناله فانه ليس على الرسول الا البلاغ المبين ثم قال الاسد للنمر : فمن ترى يصلح لهذا الشأن من هذه الطوائف ؟ قال النمر : لايصلح لهذا الامر الا الحكيم الفاضل الخير كليلة أخودمنة

فقال الاسد لابن آوى : ماتقول فيما قال فيك ؟ قال : أحسن الله جزاءه وأطاب محضره وأناله مايشتهيه من الفضل والكرم .

قال الملك لابن آوى : فهل تنشط أن تمضي الى هناك وتنوب عن الجماعة ولك الكرامة علينا اذا رجعت وأفلحت ؟ قال : سمعاً وطاعة لامر الملك ، ولكن لا أدرى كيف أعمل وكيف أصنع مع كثرة أعدائي هناك من أبناء جنسنا . قال الاسد : من أعداؤك من أبناء جنسك هناك قال : الكلاب أيها الملك . قال : مالها قال . أليس قد استأمنت الى الانس وصارت معينة لها على معشر السباع ؟ قال الملك : وما الذى دعاها الى ذلك وحملها عليه حتى فارقت أبناء جنسها وصارت مع من لا يشا كلها معينة لهم على أبناء جنسها ؟ فلم يكن عند أحد من ذاك علم غير الدب فانه قال أنا أدرى أى شيء كان السبب وما الذى دعاها الى ذلك .

قال الملك : قل لنا و بينه لنعلم كما تعلم . قال : نعم أيها الملك انما دعا الكلاب الى مجاورة بني آدم ومداخلتهم مشاكلة الطباع ومجانسة الاخلاق وما وجدت عندهم من المرغوبات واللذات من المأكولات والمشروبات وما فى طباعها من الحرص والشره واللؤم والبخل وما شاكلها من الاخلاق المذمومة الموجودة في بني آدم مما السباع عنها بمعزل وذلك أن الكلاب تأكل اللحمان منتنا وجيفا ومذبوحا وقديدا ومطبوخا ومشويا ومالحا وطريا وجيدا ورديا وثمارا و بقولا وخبزا ولبنا حليبا وحامضا وجبنا وسمنا ودبسا وشيرجا

وناطفا وعسلا وسويقا وكواميخ وما شا كلها من أصناف مأكولات بني آدم التي أكثر السباع لايأكلها ولا يعرفها ، ومع هذه الخصال كلها فان بها من الشره والحرص واللؤم والبخل مالا يمكنهم أن يتركوا أحدا من السباع أن يدخل قرية ومدينة مخافة أن ينازعها فى شيء مما هي فيه حتى انه ربما يدخل من بنات آوى أو بنات أبي الحصين أحد قرية بالليل ليسرق منها دجاجة أو ديكا أو سنورا أو يجر جيفة مطروحة أو كسرة من ميتة أو ثمرة متغيرة فترى الكلاب كيف تحمل عليه فتطرده وتخرجه من القرية ، ومع هذه كلها أيضا يرى بها من الذل والمسكنة والفقر والهوان والطمع اذا مارأت فى أيدى بني آدم من الرجال والنساء والصبيان رغيفا أو كسرة أو ثمرة أو لقمة كيف تطمع فيها وكيف تتبعه وتتبصبص بذنبها وتحرك رأسها وتحد النظر الى حدقتيه حتى يستحيي أحدهم ويرمي بها اليها ثم تراها كيف تعدو اليها بسرعة وكيف تأخذها بعجلة مخافة أن يسبقها اليها غيرها ، وكل هذه الاخلاق المذمومة موجودة في الانس والكلاب فمجانسة الاخلاق ومشاكلة الطباع دعت الكلاب الى أن فارقت أبناء جنسها من السباع واستأمنت الى الانس وصارت معهم معينة لهم على أبناء جنسها من السباع .

قال الملك : فمن غير الكلاب من المستأمنة الى الانس ؟ قال الدب : السنانير أيضاً من المستأمنة اليهم . قال الملك : ولم استأمنت السنانير قال؟ : لعلة واحدة وهي مشاكلة الطباع لأن السنانير فيها

أيضاً من الحرص والشره والرغبة في ألوان المأكولات والمشروبات مثل ما بالكلاب . قال الملك : فكيف حالها عندهم ؟ قال : هي أحسن حالا قليلا من الكلاب وذلك ان السنانير تدخل بيوتهم وتنام في مجالسهم وتحت فرشهم وتحضر موائدهم فيطعمونها مما يأكلون ويشربون وهي أيضا تسرق منهم أحيانا اذا وجدت فرصة من المأكولات ، وأما الكلاب فلا يتركونها تدخل بيوتهم ومجالسهم. فبين السنانير والكلاب لهذا السبب حسد وعداوة شديدة. حتى أن الكلاب اذا رأت سنورة قد خرجت من بيوتهم حملت عليها حملة من يريد أن يأخذها ويأكلها ويمزقها والسنانير اذا رأت الكلاب نفخت في وجوهها ونفشت شعرها وأذنابها وتطاولت وتعظمت كل ذلك عنادا لها ومناصبة وعداوة وحسدا وبغضا وتنافسا في المراتب عند بني آدم

قال الاسد للدب : هل رأيت أيضاً احدا من المستأمنة عندهم غير هذين: من السباع ؟ قال: الفأر والجرذان يدخلون منازلهم وبيوتهم ودكاكينهم وانبارتهم غير مستأمنة بل على وحشة ونفور. قال : فماذا يحملها على ذلك ؟ قال : الرغبة في الالوان من المأكولات والمشروبات قال : ومن يداخلهم أيضاً من أجناس السباع ؟ — قال : ابن عرس على سبيل اللصوصية والخلسة والتجسس . قال : ومن غيرهم يداخلهم قال : لا غير سوى الاسارى من الفهود والقرود على كره منها .

قال الملك للدب : منذ متى استأمنت الكلاب والسنانير الى

الانس ؟ قال : منذ الزمان الذى تظاهرت فيه بنو قابيل على بني هابيل قال كيف كان ذلك الخبر ؟ حدثنا به . قال . لما قتل قابيل اخاه هابيل طلب بنو هابيل لبني قابيل ثار ابيهم واقتتلوا وتذابحوا واستظهرت بنو قابيل على بني هابيل وهزموهم ونهبوا أموالهم وساقوا مواشيهم من الاغنام والبقر والجمال والخيل والبغال واستغنوا وأصلحوا الدعوات والولائم وذبحوا حيوانات كثيرة ورموا برؤسها وأكارعها حول ديارهم وقراهم ، فلما رأتها الكلاب والسنانير رغبت في كثرة الريف والخصب ورغد العيش فداخلتهم وفارقت ابناء جنسها وصارت معهم معينة لهم الى يومنا هذا .

فلما سمع الاسد ماذكره الدب من هذه القصة قال : لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم أنا لله وأنا اليه راجعون واستكثر من تكرار هذه الكلمة . فقال له الدب : ما الذى أصابك أيها الملك الفاضل ، وما هذا التأسف على مفارقة الكلاب والسنانير من ابناء جنسها ؟ — قال الاسد : ليس تأسفي على شيء فاتني منهم ولكن لما قالت الحكماء . ليس شيء على الملوك أضر ولا أفسد لامره وأمور رعيته من المستأمنين من جنده واعوانه الى عدوه لانهم يعرفون لعدوه اسراره واخلاقه وسيرته وعيوبه وأوقات غفلاته ويعرفونه النصحاء من جنوده والخونة من رعيته ويدلونه على طرقات مخفية ومكايد دقيقة وكل هذه ضارة للملوك واجنادها لابارك الله في الكلاب والسنانير . — قال الدب . قد فعل الله بها مادعوته عليها أيها الملك

واستجاب دعاءك ورفع البركة عن نسلها . وجعلها في الغنم قال : كيف ذلك ؟ قال : لان الكلبة الواحدة تجتمع عليها عدة فحولة لتحبلها وتلقى هي من الشدة عند التعلق والتخلص جهداً وعناء، ثم انها تلد ثمانية أجراء او اكثر ولا ترى منها في البر قطيعا ولا في مدينة كما ترى ذلك في الاغنام من القطعان في البراري ولا يذبح منها كل يوم في المدن والقرى من العدد مالا يحصي كثرته ومع ذلك تنتج الغنم في كل سنة واحدًا او اثنين والعلة في ذلك ان الآفات تسرع الى اولاد الكلاب والسنانير من قبل القطام لكثرة اختلاف مأكولاتها فتعرض لها امراض مختلفة ممالا يعرض للسباع منها شيء . وكذلك ان سوء اخلاقها وتأذي الناس بها ينقص من عمرها ومن عمر أولادها وتكون بذلك من المستخفين المسترذلين . ثم قال الاسد لكليلة . سر بالسلامة على عون الله و بركته الى حضرة الملك و بلغ ما ارسلت به اليه .

ولما وصل الرسول الى ملك الطير وهو السيمرغ أمر مناديا فنادى فاجتمعت عنده اصناف الطيور من البر والبحر والسهل والجبل بعدد كثير لايحصيها الا الله عز وجل فعرفها ما اخبره به الرسول من اجتماع الحيوانات عند ملك الجن للمناظرة مع الانس فيما ادعوه عليها من الرق والعبودية . ثم قال السيمرغ للطاؤس وزيره : من هنا من فصحاء الطيور ومتكلميها ومن يصلح أن نبعثه الى هناك رسولا لينوب عن الجماعة في المناظرة مع الانس ؟ قال الطاؤس : ههنا جماعة . قال :

سمهم لي لأعرفهم . قال : هنا الهدهد الجاسوس والديك المؤذن والحمام الهادى والدراج المنادي والتدرج المغنى والقبرة الخطيب والبلبل المحاكي والخطاف البناء والغراب الكاهن والكركي الحارس والطيطوى الميمون والعصفور الشبق والشقراق الخضر والفاختة النائح والورشان الرملي والقمرى المكي والصعوة الجبلي والزرزور الفارسي. والسمان البرى واللقلق القلعي والعقعق البستاني والبط الكسكرى ومالك الحزين وهو ابو تيمار الساحلي والأوز البطائحي والغواص البحرى والازار اللغوى الكثير الالحان والنعامة البدوى . قال السيمرغ للطاؤس : فأرهم واحدا واحدا لأنظر اليهم وأبصر شمائله هل يصلح لهذا الامر ام لا ؟ — قال نعم : أما الهدهد الجاسوس صاحب سليمان بن داود فهو ذلك الشخص الواقف اللابس مرقعة ملونة المنتن الرائحة قد وضع البرنس على رأسه يقعر كأنه يسجد ويركع وهو الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر والقائل لسليمان بن داود في خطاب معه : « أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين. اني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم . وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لايهتدون ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم مايخفون وما يعلنون . الله لااله الا هو رب العرش العظيم . »

وأما الديك المؤذن فهو ذلك الشخص الواقف فوق الحائط صاحب اللحية الحمراء والتاج ذى الشرفات الاحمر العينين المنتشر

الجناحين المنتصب الذنب كأنه اعلام وهو الغيور السحى الشديد المراعاة لامر حرمه العارف بأوقات الصلاة المذكر بالاسحار المنبه للجيران الحسن الموعظة وهو القائل في أذانه وقت السحر : « اذكروا الله ايها الجيران ما اطول ماأنتم نائمون الموت والبلى لاتذكرون ومن النار لاتخافون والي الجنة لاتشتاقون وانعم الله لاتشكرون ليت الخلائق لم يخلقوا وليتهم اذا خلقوا علموا لماذا خلقوا فاذكروا هادم اللذات وتزودوا فان خير الزاد التقوى .

وأما الدراج المنادى فهو ذلك الشخص القائم علي التل الابيض الخدين الابلق الجناحين المحدودب الظهر من طول السجود والركوع وهو الكثير الاولاد المبارك النتاج المذكر المبشر في ندائه ، وهو القائل فى ايام الربيع :« بالشكر تدوم النعم ، وبالكفر تحل النقم » ثم يقول : « واشكروا نعمة الله يردكم ولا تظنو بالله ظن السوء » : ثم يقول ايضا في الربيع :

سبحان ربي وحده عز وجل حمدا على نعمائه فقد شمل

جاء الربيع والشتا قد ارتحل قداستوى الليل النهار فاعتدل

ودارت الايام حولا قد كمل من عمل الخير ففي الخير حصل

ثم يقول : اللهم اكفني شر بنات آوى والجوارح والصيادين من بني آدم ووصف اطبائهم المنافع في من جهة تغذية المرضي لاعيش لى فأذكر الله ذكرا كثيرا وأكون منادى الحق في وجه الصبح لبنى آدم كي يسمعوا و يتعظوا بمواعظى الحسنة .

وأما الحمام الهادى فهو ذاك المحلق في الهواء الحامل للكتاب السائر الى بلاد بعيدة في رسائله وهو القائل فى طيرانه وذهابه : ياوحشتا من فرقة الاخوان ، ويا اشتياقا للقاء الخلان ، يارب فارشدنا الى الاوطان .

وأما التدرج المغني فهو ذاك الشخص الماشي بالتبختر فى وسط البستان بين الاشجار والريحان المطرب بأصواته الحسان ذوات النغم والالحان . وهو القائل في مراثيه ومواعظه : يامفنيا للعمر في البنيان وغارس الاشجار في البستان ، وباني القصور في البلدان ، وقاعدا في الصدر والايوان ، وغافلا عن نوبة الزمان ، احذر ولا تغتر بالرحمن ، واذكر عن الترحال للجبان ، ومجاورة الحيات والديدان ، من بعد طيب العيش والمكان ، فان تنتبه قبل ان تفارق الاوطان تدخل في خير مكان .

وأما القبرة الخطيب فهو ذاك الشخص صاحب الرتبة المرتفع فى الهواء على رأس الزرع والحصاد في انصاف النهار كالخطيب على المنبر الملحن بأنواع الاصوات و بفنون النغمات اللذيذة وهو القائل في خطبته وتذكاره : أين أولو الالباب والافكار ، اين ذوو الارباح والتجار ، اين الزراع في القفار ، ينمون من حبة واحدة سبعين ضعفا زيدة فى المقدار موهبة من واحد غفار ، فاعتبروا يااولى الابصار ، وآتوا حقه يوم حصاده ولا تغدوا تتخافتون أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين . من يزرع الخير يحصده غدا غبطة ، ومن يغرس معروفا يجن غدا ثمرا

طيباً . فالدنيا كالمزرعة والعاملون من ابناء الآخرة كالحراث واعمالهم كالزرع والشجر والموت كالحصاد والصرام والقبر كالبيدر ويوم البعث كأيام الدياس، واهل الجنة كالحب والثمر، واهل النار كالتبن والحطب اللذان لاقيمة لهما، فلو كان لهما قيمة لما وجب احراقهما « يوم يميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم . وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لايمسهم السوء ولا هم يحزنون . »

وأما البلبل الحاكي فهو ذاك القاعد على غصن تلك الشجرة وهو الصغير الجثة السريع الحركة الابيض الخدين الكثير الالتفات يمنة ويسرة الفصيح اللسان الجيد البيان الكثير الالحان يجاور بني آدم في بساتينهم ويخالطهم في منازلهم ويكثر مجاوبتهم في كلامهم ويحاكيهم في نغماتهم ويعظهم في تذكاره لهم وهو القائل لهم عند لهوهم وغفلاتهم : سبحان الله كم تلعبون ، سبحان الله كم تولعون ، سبحان الله كم تضحكون ، سبحان الله ألا تسبحون ، أليس للموت تولدون ، أليس للبلى تربون ، أليس للخراب تبنون ، أليس للفناء تجمعون ، كم تلعبون أليس غدا تموتون وفي التراب تدفنون ? . « كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون » يا ابن آدم « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول » ثم يقول اللهم اكفني ولع الصبيان وشر سائر الحيوان يا حنان يا منان

وأما الغراب الكاهن المنبيء الأنباء فهو ذاك الشخص اللابس السواد المتوقي الحذر المذكر بالاسحار الطواف في الديار المتتبع للآثار الشديد الطيران الكثير الاسفار الذاهب فى الاقطار المخبر بالكائنات المحذر من آفات الغفلات . وهو القائل فى نعيقه وانذاره. الوحا الوحا ، النجا النجا . احذّر البلي يامن طغي وبغي ، وآثر الحياة الدنيا ، أين المفر والخلاص من القضاء الا بالصلاة والدعاء ، لعل رب السماء يكفيكم البلاء كيف يشاء .

وأما الخطاف البناء فهو السابح في الهواء الخفيف الطيران القصير الرجلين الوافر الجناحين وهو المجاور لبني آدم في دورهم والمربي لاولاده فى منازلهم وهو الكثير التسبيح بالاسحار الكثير الدعاء والاستغفار بالعشى والابكار والذاهب بعيدا فى الاسفار المصيف فى الحر المشتى في الصر وهو القائل فى تسبيحه ودعائه : سبحان خالق البحار والقفار، سبحان مرسي الجبال ومجرى الانهار، سبحان مولج الليل في النهار ، سبحان مقدر الآجال والارزاق بمقدار ، سبحان من هو الصاحب في الاسفار ، سبحان من هو الخليفة علي الاهل والديار ، ثم يقول : ذهبنا في البلاد، ورأينا العباد ، ورجعنا الي موضع الميلاد، وتنجنا بعد السفاد وصلحنا بعد الفساد فلله الحمد رب العباد، وهو الكريم الجواد .

وأما الكركى الحارس فهو ذاك الشخص القائم في الصحراء الطويل الرقبة والرجلين القصير الذنب الوافر الجناحين وهو الذاهب

في طيرانه في الجو صفين الحارس بالليل نوبتين القائل في تسبيحه :
سبحان مسخر النيرين ، سبحان مارج البحرين ، سبحان رب المشرقين الخالق من كل شيء زوجين اثنين .

وأما القطا الكدري فهو ساكن البراري والقفار وهو البعيد الورود الى الأنهار المسافر بالليل والنهار الكثير التذكار القائل في غدوه ورواحه وورودِه وصدوره : سبحان خالق السموات المسموكات ، سبحان خالق الارضين المدحوات ، سبحان خالق الافلاك الدائرات ، سبحان خالق البروج الطالعات ، سبحان خالق الكواكب السيارات ، سبحان مرسل الرياح الذاريات ، سبحان منشيء السحب المطرات ، سبحان رب الرعود المسبحات ، سبحان رب البروق اللامعات ، سبحان رب البحور الزاخرات ، سبحان مرسي الجبال الشامخات ، سبحان مدبر الليل والنهار والاوقات ، سبحان منشيء الحيوان والنبات ، سبحان خالق النور والظلمات ، سبحان باريء الخلائق في البحار والفلوات ، سبحان من يحيي العظام الرفات الدارسات الباليات بعد الممات ، سبحان من كل الالسن عن حمده ووصفه بكنه الصفات النعي جل ذاته عن الذوات .

• وأما الطيطوى الميمون فهو ذلك الواقف على المسناة الابيض الخدين الطويل الرجلين الذكي الخفيف الروح وهو المحذر للطيور في الليل واوقات الغفلات المبشر بالرخص والبركات . وهو القائل في تسبيحه :

يافالق الاصباح والانوار ومرسل الرياح في القفار
ومنشيء السحاب ذي الامطار ومجرى السيول والانهار
في الديار
ومنبت العشب مع الاشجار ومخرج الحبوب والثمار
فاستبشروا يامعشر الاطيار بسعة الرزق من الغفار
الكريم الستار

وأما الهزار الكثير الالحان فهو ذالك القاعد علي غصن الشجرة الصغير الجثة الخفيف الحركة الطيب النغمة وهو القائل في غنائه وألحانه: الحمد لله ذى القدرة والاحسان ، الواحد الفرد ذى الغفران ، يامنعما مفضلا في السر والاعلان ، كم من نعمة شاملة يمنها الرحمن ، تفيض كالبحار في الجريان على الانسان ،

ياطيب عيش كان فى الازمان . بين رياض الروح والريحان
وسط البساتين مع الاغصان مثمرة الاشجار بالالوان
لو أنني ساعدني اخواني ذاكرتهم بكثرة الالحان
* الحسان *

قال الشاهمرغ للطاؤس : من ترى يصلح من هؤلاء آن نبعثه الى هناك ليناظر مع الانس وينوب عن الجماعة ؟ — قال الطاؤس : كلهم يصلح لذلك لانهم كلهم فصحاء خطباء شعراء غير ان الهزار افصح لسانا وأجود بيانا وأطيب الحانا ونغمة . فأمره الشاهمرغ وقال له : سر وتوكل علي الله فانه نعم المولى ونعم النصير .

ولما وصل الرسول الى ملك الحشرات وهو اليعسوب اميرالنحل وعرفه الخبر نادى مناديه فاجتمعت الحشرات من الزنانير والذبان والبق والجرجس والجعلان والذراريح وانواع الفراش والجراد و بالجملة كل حيوان صغير الجثة يطير بأجنحة ليس له ريش ولا عظم ولا صوف ولا و بر ولا شعر ولا يعيش منها سنة كاملة غير النحل لانها يهلكها البرد المفرط والحر المفرط شيتاء وصيفاً ثم انه عرفها الخبر وقال: ايكم يذهب الي هناك فينوب عن الجماعة في مناظرة الانس ؟ — قالت الجماعة : و بماذا يفتخر الانس علينا ؟ . قال الرسول : بكبر الجثة وعظم الخلقة وشدة القوة والقهر والغلبة . قال زعيم الزنابير : نحن نمر الى هناك . وقال زعيم الجراد : نحن نمر .

ثم قال الملك : مالى أرى كل طائفة منكم قد بادرت الى المراد من غير فكرة ولا روية في هذا الامر ؟ . قالت جماعة البقة : نعم ايها الملك لولا الثقة بنصر الله واليقين بالظفر بقوة الله وعزته لما تقدمت التجربة فيما مضي من الدهور السالفة والامم الخالية والملوك الجبابرة . قال الملك : كيف كان ذلك خبروني ؟ . قالت البقة : أليس اصغرنا جثة واضعفنا بنية قتل نمرود اكبر ملوك بنى آدم واطغاهم واعظمهم سلطاناً واشدهم صولة وتكبرا ؟ قال : صدقت . قال الزنبور : أليس اذا لبس احد من بني آدم سلاحه الشاك واخذ بيده سيفه ورمحه او سكينه او نشابه يتقدم واحد منا فيلسعه بحمة مثل رأس ابرة فيشغله عن كل ماأراد وعزم عليه و يتورم جلده وتوهن اعضاؤه حتي لايقدر علي

الحراك ولا يقدر أن يقبض علي سيفه او ترسه ؟ قال : صدقت .قال الذباب : أليس ايها الملك ان اعظمهم سلطاناً واشدهم هيبة وارفعهم مكاناً اذا قعد علي سرير ملكه ويقوم الحجاب دونه شفقة عليه أن يناله مكروه وأذية فيجيء احدنا من مطبخه او كنيفه ملوث اليدين والجناحين فيقعد علي ثيابه وعلي وجهه يؤذيه ، ولا يقدرون على الاحتراز منا ؟ قال صدقت . قالت الخرشة : أليس اذا قعد احدهم في مجلسه ودسته وسريره وحجابه وكالهِ المنصوبة فيجيء احدنا فيدخل فى ثيابه فيقرضه ويزعجه من سكونه واذا اراد أن يبطش بناصفع نفسه بيده ولطم خده بكفه وينفلت منه ؟ — قال صدقتم يا معشر الحشرات ، ولكن ليس في مجلس ملك الجن يمشي الامر بشيء مما ذكرتم انما الامر هناك بالعدل والانصاف والادب ودقة النظر وجودة التميز والاحتجاج بالفصاحة والبيان فى المناظرة فهل عندكم منها شيء فأطرقت الجماعة ساعة مفكرة فيما قال الملك . ثم جاء حكيم من حكماء النحل فقال . أنا اقوم بهذا الامر بعون الله ومشيئته . قال الملك والجماعة : خار الله لك فيما عزمت عليه ونصرك واظفرك على خصمائك ومن يريد غلبتك وعدواتك . ثم ودعهم وتزود ورحل حتى قدم على ملك الجن وحضر المجلس مع من حضر من غيره من سائر اصناف الحيوانات .

ولما وصل الرسول الى ملك الجوارح وهو العنقاء وعرفه الخبر فنادى مناديه فاجتمعت عنده اصناف الجوارح من النسور والعقبان

والصقور والبزاة والشواهين والحداءة والرخم والبوم والبغاء وكل ذى مخلب مقوس المنقار يأكل اللحم . ثم عرفها ما بلغه الرسول من اجتماع الحيوانات بحضرة ملك الجن للمناظرة مع الانس ، ثم قال لوزيره شنقار . أترى من يصلح لهذا الامر من هذه الجوارح حتي نبعثه الى هناك لينوب عن جماعة ابناء جنسه بالمناظرة مع الآدميين ؟ — قال الوزير : ليس فيها احد يصلح لهـذا الامر غير البوم . قال الملك . ولم ذلك ؟ قال لان هذه الجوارح كلها تنفر من الناس وتفزع منهم ولا تفهم كلامهم ولا تحسن أن تخالطهم وتجاوبهم فأما البوم فانه قريب المجاورة لهم فى ديارهم العافية ومنازلهم الدارسـة وقصورهم الخربة وينظر الى آثارهم القديمة ويعتبر بالقرون الماضية وفيه معذلك كله من الورع والزهد والخضوع والتقنع والتقشف ماليس لغـيره ويصوم بالنهار ويبكى ويعبد بالليل وربمـا يعظ بني آدم ويذكرهم وينوح على ملوكهم الماضين والامم السالفة وينشد أبياتا من المراثي فيقول :

أين القـرون المـاضية • تركوا المنـازل خاويه
جمعوا الكنوز وقد خلوا • تركوا الكنوز كما هيه

وقال :

ألا يادار ويحك خـبرينا • لماذا صار أهلك يهجرونا
فما نطقت ولونطقت لقالت • لأنك قد بقيت وقد بلينا

وقال :

سألت الدار تخبرني ... عن الاحباب مافعلوا
فقالت لى أقام القو ... م أياما وقد رحلوا
فقلت وأين أطلبهم ... وأى منازل نزلوا
فقالت فى القبور لقد ... لقوا والله ماعملوا

وقال :

في الذاهبين الاولـ ... ـين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا ... للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها ... يمضي الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضي اليـ ... ـي ولا من الباقين غابر
أيقنت أني لا محا ... لة حيث صار القوم صائر

وقال :

نام الخلي ولا أحس رقادى ... والهم محتضر بجنب وسادى
لا السقم عارضني ولكن حل بي ... هم أراه قد أصاب فؤادى
أين الملوك الاولون وقد غدوا ... بين العذيب وبين ذى أفراد
ماذا أؤمل بعد آل محرق ... درست منازلهم و بعد اياد
أهل الخورنق والسدير و بارق ... والقصر ذى الشرفات من شداد
أرض تخيرها لطيب مقيلها ... كعب وطي وأبن أم وداد
ولقد نموا فيها بأطيب عيشة ... فى بسط ملك ثابت الاوتاد

جرت الرياح على عراص ديارهم فكأنهم كانوا على ميعاد
فأرى النعيم وكل مايلهي به يوما يصير الى بلى ونفاد

ثم يقرأ : « كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين • كذلك وأورثناها قوما آخرين » . قال العنقاء للبوم : مايقول فيما قال الشنقار ؟ ، قال : صدق فيما قال ولكن لا أتمكن من المصير الى هناك . قال العنقاء : ولم ذاك ؟ ، قال البوم لان بني آدم يبغضونني ويتطيرون برؤيتي ويشتمونني من غير ذنب سبق مني اليهم ولا أذية تنالهم من جهتي فكيف اذا رأوني وقد أظهرت لهم الخلاف ونازعتهم في الكلام والمناظرة وهي ضرب من الخصومة والخصومة تنتج العداوة والعداوة تدعو الى المحاربة والمحاربة تخرب الديار وتهلك أهلها . قال العنقاء للبوم : فمن ترى يصلح لهذا الامر ؟ قال البوم : ان ملوك بني آدم يحبون الجوارح من البزاة والصقور والشواهين وغيرها ويكرمونها ويعظمونها ويحملونها على أيديهم يمسحونها بأكمامهم فلو بعث الملك بواحد منهم لكان صوابا

قال العنقاء للجماعة : قد سمعتم ماقال البوم فأي شيء عندكم ؟ فقال البازي : صدق البوم فيما قال ، ولكن ليس كرامتنا من بني آدم لقرابة بيننا وبينهم ولا علم ولا أدب يجدونه عندنا ولكن لانهم يشاركوننا في معيشتنا ويأخذون من مكاسبنا ، كل ذلك حرصا منهم وشرها واتباعا للشهوات واللعب والبطر والفضول لايشتغلون بما هو واجب عليهم من اصلاح أمورهم ومعادهم وما هو لازم عليهم من

الطاعة لله تعالى وماهم يسألون يوم القيامة عنه . فقال العنقاء للبازى : فمن ترى يصلح لهذا الامر ؟ قال البازى : أظن ان الببغاء يصلح لهذا الامر لان بني آدم يحبونه ملوكهم وخواصهم وعوامهم ونساؤهم ورجالهم وصبيانهم وعلماؤهم . وجهالهم ويكلمهم ويكلمونه ويستمعون منه مايقوله ويحاكيهم في كلامهم وأقاويلهم . فقال العنقاء للببغاء : ماتقول فيما قال البازى ؟ قال : صدق فيما قال . وأنا أذهب الى هناك سمعاً وطاعة وأنوب عن الجماعة بعون الله وحوله وقوته ولكنني محتاج الى المعاونة من الملك والجماعة . قال له العنقاء ماذا تريد ؟ قال: الدعاء الى الله والسؤال منه بالنصر والتأييد . فدعا له الملك بالنصر والتأييد وأمنت الجماعة . ثم قال البوم : أيها الملك ان الدعاء اذا لم يكن مستجابا فعناء وتعب ونصب بلا فائدة لان الدعاء لقاح والاجابة نتيجة فاذا لم يكن الدعاء مع شرائطه فلا يجاب ولا ينتج

قال الملك : وما شرائط الدعاء المستجاب ؟ قال : النية الصادقة وإخلاص القلوب كالمضطر وأن يتقدمه الصوم والصلاة والصدقة والقربان والبر والمعروف . قالت الجماعة : صدقت وبررت فيما قلت أيها الزاهد الحكيم العابد . ثم قال العنقاء للجماعة الحضور من الجوارح : أما ترون معشر الطير مادفعنا اليه من جور بني آدم وتعديهم على الحيوانات حتى بلغ الامر الينا مع بعد ديارنا منهم ومجانبتنا اياهم وتركنا مداخلتهم أنا مع عظم خلقي وشدة قوتي وسرعة

طيراني تركت ديارهم وهربت منهم الى الجزائر والبحار والجبال وهكذا أخي الشنقار لزم البراري والقفار وبعد عن ديارهم طالباً للسلامة من شرهم ، ثم لم تتخلص منهم حتى أخرجونا الى المناظرة والمحاجة والمحاكمة . ولو أراد واحد منا أن يختطف كل يوم عددا كثيرا لكنا قادرين عليهم ، ولكن ليس من شيم الاحرار مجازاة الاشرار وأن يعاملوهم ويكافئوهم على سوء أفعالهم بل يتركونهم ويبعدون منهم ويكلون أمرهم الى ربهم ويشتغلون بمصالحهم وما يجدي النفع وراحة القلب في المعاد . ثم قال العنقاء : وكم مركب في البحر طرحته الرياح العاصفة الى اللجج الغامرة فهديتهم الى الطريق وكم غريق كسرت العواصف مركبه في البحر فأنجيته الى السواحل والجزائر ، وكل ذلك طالباً لمرضاة ربي وشكرا لنعمه التي اعطاني الله عز وجل من عظم الخلقة وكبر الجثة والشكر له على احسانه الى وحسبنا الله ونعم الوكيل والمعين .

ولما وصل الرسول الى ملك حيوان البحر وهو التنين وعرفه الخبر نادى مناديه فاجتمعت عنده اصناف الحيوانات البحريه من التنانين والكواسج والتماسيح والدلافين والحيتان والسموك والسراطين والكراريك والسلاحف والضفادع وذوات الاصداف والفلوس وهو نحو من سبعمائة صورة مختلفة الاشكال والالوان فعرفها الخبر وما قاله الرسول . ثم قال التنين للرسول : بماذا يفتخر بنو آدم على غيرهم ؟ أبكبر الجثة او بالشدة والقوة او بالقهر والغلبة ؟ فان كان افتخارهم

بواحدة منها ذهبت الى هناك ونفخت فيهم نفخة واحدة واحرقتهم من أولهم الى آخرهم ثم جـذبتهم بمرجوع نفسي و بلعتهم كلهم . فقال : ليس يفتخر بنو آدم بشيء من هذه ، ولكن برجحان العقول وفنون العلوم وغرائب الآداب ولطائف الحيل ودقة الصنائع والفكرة والتمييز والروية وذكاء النفوس .

قال التنين : صف لي شيئا منها لأعلمه . قال : نعم أيها الملك ألست تعلم ان بني آدم ينزلون بحيلهم وعلومهم الى قعور البحور الزاخرة المظلمة الكثيرة الامواج ليخرجوا من هنـاك الجواهر من الدر والمرجان ؟ وهكذا يعملون بالعلم والحيلة و يصعدون الى رؤس الجبال الشامخة فينزلون منها النسور والعقبان ؟ وهكذا بالعلم والحيلة يعملون العجل من الخشب فيشدونها في صدور الثيران واكتافها ثم يحملون عليها الاحمال الثقيلة و ينقلونها من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق و يقطعون البراري والقفار ؟ وهكذا بالعلم والحيلة يصنعون السفن والمراكب يحملون فيها الامتعة والاثقال و يقطعون بها سعة البحار البعيدة الاقطار ؟ وهكذا بالعلم والحيلة يدخلون في كهوف الجبال ومغارات التلال وعمق الارض فيخرجون منها الجواهر المعدنية من الذهب والفضة والحديد والنحاس وغيرها ؟ وهكذا بالعلم والحيلة اذا نصب احدهم على ساحل بحر او شفا جرف او مشرعة نهر طلسما او صنما فلا يقدر عشرة آلاف منكم معاشر التنانين والكواسج أن يجتازوا هناك او يقربوا ذلك المكان ؟ ولكن ابشر أيهـا الملك فانه ليس

بحضرة ملك الجن الا العدل والانصاف في الحكومة والحجة والبينة لا القهر والغلبة والمكر والحيلة .

فلما سمع التنين مقالة الرسول قال لمن حوله من جنوده : ألا تسمعون وماذا ترون وأي شيء تفعلونه وأيكم يذهب فيناظر الانس وينوب عن الجماعة من اخوانه وأبناء جنسه ؟ قال الدلفين منجي الغرقى : ان أولى حيوان البحر بهذا الأمر الحوت لانه أعظمها خلقة وأكبرها جثة وأحسنها صورة وأنظفها بشرة وأنقاها بياضاً وأملسها بدناً وأسرعها حركة وأشدها سباحة وأكثرها عدداً ونتاجاً حتى أنه قد امتلأت منه البحار والأنهار والبطائح والعيون والجداول والسواقي صغاراً وكباراً . وللحوت أيضاً يد بيضاء عند بني آدم حين أجار نبياً منهم وآواه في بطنه ورده الى مأمنه .

قال التنين للحوت : ماذا ترى فيما قال الدلفين ؟ قال : صدق في كل ما ذكره ولكن لا أدرى كيف أذهب الى هناك وكيف أخاطبهم وليس لى رجلان أمشي بهما ولا لسان ناطق أتكلم به ولا صبر لى عن الماء ساعة واحدة ولا على العطش ، ولكن أرى ان السلحفاة يصلح لهذا الامر لانه يصبر عن الماء ويرعى في البر ويعيش في البحر ويتنفس في الهواء كما يتنفس في الماء وهو مع هذا قوى البدن صلب الظهر جيد الحس حليم وقور صبور على الأذى متحمل للأثقال . قال التنين للسلحفاة : ماذا ترى فيما قال وأشار اليك قال : صدق ولكن لا أصلح لهذا الامر لأنى ثقيل الرجل عند المشي

والطريق بعيد وأنا قليل الكلام أخرس ولكن أرى انما يصالح له الدلفين أيها الملك لانه أقوى على المشي وأقدر على الكلام .

فقال التنين للدلفين : ماذا ترى ؟ قال الدلفين : بل السرطان أولى بهذا لانه كثير الارجل جيد المشي سريع العدو حاد المخالب شديد العض ذو منشار واظفار حداد صلب الظهر مقاتل متدرع . فقال التنين للسرطان : ماذا ترى فيما ذكر الدلفين ؟ فقال : صدق فيما قال ، ولكن كيف أذهب الى هناك مع عيب خلقتي وتعوج صورتي أخاف أن أكون سخرة . قال التنين : لم ذلك ؟ قال لانهم يرون حيواناً بلا رأس عيناه على كتفه وفمه فى صدره وفكاه مشقوقان من جانبيه وله ثمانية أرجل مقوسة معوجة ويمشي على جانب وظهره كانه من رصاص ، قال التنين : صدقت فمن يصلح أن يتوجه الى هناك ؟ قال السرطان أظن أن التمساح يصلح لهذا الامر لانه قوى الارجل طويل الخلق كثير المشي سريع العدو واسع الفم طويل اللسان كثير الاسنان قوى البدن هيوب المنظر سديد الرصد لمطالبه غواص فى الماء قوى في الطلب . قال التنين للتمساح : ماترى فيما قال السرطان ؟ قال صدق ولكن لا أصلح لهذا الامر لاني غضوب ضجور وثاب مختلس فرار غدار .

فقال الرسول : ان هذا الامر ليس بالقهر والغلبة ولكن بالحلم والوقار والعقل والبيان والتمييز والفصاحة والعدل والانصاف في الخطاب . فقال التمساح : لست أتعاطي شيئاً من هذه الخصال ، ولكني أرى

ان الضفدع يصلح لهذا الامر لانه حليم وقور صبور ورع كثير التسبيح بالليل والنهار وفى الاسحار كثير الصلاة والدعاء بالعشى والعدوات ، وهو يداخل بني آدم في منازلهم وله عند بني اسرائيل يد بيضاء مرتين احداهما يوم طرح نمرود ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام في النار فانه كان ينقل الماء بفيه فيصبه في النار ليطفئها ، ومرة أخرى أنه كان في أيام موسي بن عمران معاوناً له علي فرعون وملأه ، وهو أيضاً مع هذا فصيح اللسان كثير الكلام والتسبيح والتكبير والتهليل ، وهو من الحيوان الذى يعيش ويأوى في البر والبحر ويحسن المشي والسباحة جميعاً ، وله أيضاً رأس مدور ووجه غير مقبع وعينان براقتان وذراعان وكفان مبسوطتان ويمشي متخطياً متقعرا ويدخل منازل بنى آدم ولا يخافون منه .

قال التنين للضفدع : ماذا ترى فيما ذكره التمساح ؟ قال: صدق وأنا أمر الى هناك سمعاً وطاعة للملك وأنوب عن الجماعة من اخواننا من حيوان الماء اجمع ، ولكن أريد من الملك أن يدعو الله لى بالنصر والتأييد لان دعوات الملوك في حق الرعية مستجابة . فدعا له الملك والجماعة بأجمعهم امنوا بالنصر والتأييد وودعوه فرخلو عنهم وقدم على ملك الجن .

(في بيان شفقة الثعبان علي الهوام ورحمته لهم)

ولما وصل الرسول الى ملك الهوام وهو الثعبان وعرفه الخبر

نادى مناديه فاجتمعت اليه أجناس الهوام من الحيات والافاعي والجرارات والعقارب والدحاسات والضب وسام أبرص والحرابي والعظايات والخنافس و بنات وردان والعناكب وفهد الذباب والقمل والجنادب والبراغيث وأنواع النمل والقراد والصراصر وأصناف الديدان مما يتكون فى العفونات أو يدب على ورق الشجر أو يتكون في لب الحبوب وقلوب الشجر وفي جوف الحيوانات الكبار والارضة والسوس وما يتولد فى السرقين أوالطين أوفي الخل أو فى الثلج أو في ثمر الشجر وما يدب في المغارات والظلمات والاهوية فاجتمعت كلها عند ملكها لا يحصي عددها الا الله عز وجل الذى خلقها وصوّرها ورزقها و يعلم مستقرها ومستودعها . فلما نظر ملكها اليها من عجائب الصور وأصناف الاشكال بقى متعجباً منها ساعة طويلة ثم فتشها فاذا هي أكثر الحيوانات عددا وأصغرها جثة وأضعفها بنية وأقلها حيلة وحواساً وشعورا فبقى متفكرا في أمرها ثم قال الثعبان لوزيره الافعي هل ترى من يصلح من هذه الطوائف أن نبعثه الى هناك للمناظرة فان أكثره صم بكم عمي خرس جسم بلا رجلين ولا يدين ولا جناحين ولا منقار ولا مخلب ولا ريش على أبدانها ولا شعر ولا وبر ولا صوف ولا فلوس ، وان أكثرها حفاة عراة حسرى ضعفاء فقراء مساكين بلا حيلة ولا حول ولا قوة فادركته رحمة عليها وتحنن وشفقة ورأفة ورق قلبه عليه ودمعت عيناه من الحزن ثم نظر الى السماء وقال فى دعائه : ياخالق الخلق ، ويا باسط الرزق ، ويامدبر الامور ،

ويا أرحم الراحمين ويامن هو يسمع ويرى ، ويامن يعلم السر وأخفى أنت خالقها ورازقها ومحييها ومميتها كن لنا وليا حافظا وناصرا ومعينا وهاديا ومرشدا يا أرحم الراحمين . فنطقت كلها من لسان فصيح : آمين رب العالمين .

(في بيان خطبة الصرصر وحكمته)

فلما رأى الصرصر ما أصاب الثعبان من التحنن والرحمة والرأفة على رعيته وجنوده وأعوانه من أبناء جنسه ارتقى الى حائط بالقرب وحرك أوتاره وزمر بمزماره وترنم بأصوات وألحان ونغمات لذيذة بالتحميد لله والتوحيد له . فقال : الحمدلله نحمده ونستعينه ونشكره على نعمائه السابغة وآلائه الدائمة . فسبحان الله الحنان المنان الديان . هو سبوح قدوس رب الملائكة والروح الحى القيوم ذو الجلال والاكرام والاسماء العظام والآيات والبرهان . كان قبل الاماكن والازمان والجواهر ذوات الكيان . لاسماء فوقه ولا أرض تحته . محتجب بنوره متوحد بوحدانيته واسرار غيبه حيث لاسماء مبنية ولا أرض مدحية ثم قضي ودبر كماشاء قدر فأبدع نورا بسيطا لا من هيولي متهيئة ولا من صورة متوهمة ، بل قال كن فكان . وهو العقل الفعال ذو العلم والاسرار ، خلقه لا لوحشة كان فى وحدته ولا لاستعانة على أمر من الامور ، ولكن يفعل مايشاء ويحكم مايريد ولا معقب لحكمه ولا مرد لقضائه وهو السريع الحساب . ثم قال : أيها الملك المشفق الرحيم

الرؤف المتحنن علي هذه الطوائف لا يغمنك ماترى من ضعف ابدان هذه الطوائف وصغر جثتها وعريها وفقرها وقلة حيلها فان الله تعالى هو خالقها ورازقها وهو أرأف وأرحم بها من الوالدة الرحيمة المشفقة على ولدها ومن الاب الرحيم المشفق على أولاده . وذلك أن الخالق تعالى لما خلق الحيوانات مختلفة الصور متفننة الاشكال ورتبها على منازل شتى ما بين كبير الجثة وعظيم الخلقة وشديد القوة وقوى البنية وما بين صغير الجثة وضعيف البنية وقليل الحيلة ساوى بينها في المواهب الجزيلة وهى الآلات والادوات التى تتناول بها المنافع وتدفع بها المضار فصارت متكافئة فى العطية . مثال ذلك انه لما أعطى الفيل الجثة العظيمة والبنية القوية الشديدة يدفع بها عن نفسه مكاره السباع بأنيابها الطوال الصلاب ويتناول بخرطومه الطويل المنافع أعطى أيضاً البقة الصغيرة الجثة الضعيفة البنية عوضاً من ذلك الجناحين اللطيفين وسرعة الطيران فتنجو من المكاره وتتناول الغذاء بخرطومها فصار الصغير والكبير فى هذه المواهب التى يجر بها المنفعة ويدفع بها المضرة متساوية . وهكذا يفعل الخالق البارىء المصور بهذه الطوائف الضعفاء الفقراء الذين تراهم حفاة عراة حسرى وذلك أن البارىء تعالى لما خلقها على هذه الاحوال التى تراها كفاها أمر مصالحها من جر منافعها اليها ودفع المضار عنها .

فانظر أيها الملك وتأمل واعتبر أحوالها فانك ترى ما كان أصغر جثة منها وأضعف بنيه وأقل حيلة كان أروح بدنا وأربط جأشا

وأسكن روعا في دفع المكاره من غيرها ، وكان أطيب نفساً وأقل اضطرابا في طلب المعاش وجر المنافع وأخف مؤنة مما هو أعظم جثة وأقوى بنية وأكثر حيله : بيان ذلك انك اذا تأملت وجدت الكبار منها للقوية البنية الشديدة القوة تدفع عن أنفسها المكاره بالقهر والغلبة والقوة والجلد كالسباع والفيلة والجواميس وأمثالها وسائر الحيوانات الكبيرة الجثة العظيمة الخلقة الشديدة القوة ، ومنها ماتدفع عن نفسها المكاره والضرر بالفرار والهرب وسرعة العدو كالغزلان والارانب وغيرها من حمير الوحش ، ومنها بالطيران فى الجو كالطيور ومنها بالغوص في الماء والسباحة فيه كحيوانات الماء ، ومنها ماتدفع المكاره والمضار بالتحصن والاختفاء في الاحجرة والثقب مثل النمل والفار كما قال الله تعالى حكاية عن النملة : « قالت نملة يا أيها النمل أدخلوا مساكنكم ليحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون » ، ومنها ماقد ألبسه الله تعالى من الجلود الثخينة الخزفية كالسلحفاة والسرطان والحلزون وذوات الاصداف من حيوان البحر ، ومنها مايدفع المكاره والضرر عن أنفسها بادخال رؤسها تحت أذنابها كالقنفذ . وأما فنون تصاريفها في طلب المعاش والمنافع فمنها مايصل اليه ويهتدى بجودة النظر وشدة الطيران كالنسور والعقبان ، ومنها بجودة الشم كالنمل والجعلان والخنافس وغيرها ، ومنها مايهتدى ويصل اليه بجودة الاستماع للاصوات كالنسر ، ومنها مايهتدى بجودة الذوق كالسمك وغيره من حيوان الماء .

ولما منع الحكيم هذه الطوائف والحيوانات الصغار الجثة الضعاف القوى والبنية القليلة الحيلة عن هذه الآلات والادوات والحواس وجودتها لطف بها وكفاها مؤنة الطلب وأسباب الهرب والاختفاء وذلك انه جعلها في مواضع كنينة وأماكن حريزة امافي النبات أوفي حب النبات أوفي أجواف الحيوانات أوفي الطين أو السرقين وجعل غذاءها محيطاً بها وموادها من حواليها وجعل في أبدانها قوى جاذبة يمتص بها الرطوبات المغذية لابدانها المقومة لاجسادها ولم يحوجها الى الطلب والى الهرب كالخراطين والديدان فمن أجل هذا لم يخلق لها رجلين يمشى بهما ولا يدين يتناول بهما ولا فماً يفتح ولا اسناناً تمضغ ولا حلقوما يبلع ولا مريئاً يزدرد ولا حوصلة تنقع ولا قانصة ولا معدة ولا كرشاً ينضج الكيموس فيها ولا امعاء ولا مصارين للثفل ولا كبدا يصفي الدم ولا طحالا يجذب الكيموس الغليظ من السوداء ولا مرارة يجذب اللطيف من الصفراء ولا كليتين ولا مثانة يجذب البول ولا أوردة يجرى الدم فيها ولا شرايين للنبض ولا اعصابا من الدماغ للحس ولا يعرض لها الامراض المزمنة ولا الاعلال المؤلمة ولا تحتاج الى دواء ولا علاج ولا يعرض لها شيء من الآفات التي تعرض للحيوانات الكبيرة الجثة العظيمة البنية الشديدة القوة فسبحان الخالق الحكيم الذي كفاها هذه المطالب وهذه المؤن وأراحها من التعب والنصب فلله الحمد والمن والشكر على جزيل مواهبه وعظيم نعمائه وجزيل آلائه •

فلما فرغ الصرصر من هذه الخطبة قال له الثعبان ملك الهوام ته
بارك الله فيك من خطيب ماأفصحك ومن مذكر ما أعلمك ومن
واعظ ماأبلغك والحمدلله الذى جعل لهذه الطائفة مثل هذا الحكيم
الفاضل المتكلم الفصيح . ثم قال له الثعبان : أتمضي الى هناك لتنوب
عن الجماعة في المناظرة مع الانس ؟ قال : نعم سمعاً وطاعة للملك
ونصيحة للاخوان . قالت الحية عند ذلك : لاتذكر عندهم انك
رسول الثعبان والحيات . قال الصرصر : لم ؟ قالت : لان بين بني
آدم و بين الحيات عداوة قديمة وحقدا كامناً لايقدر قدره حتى ان
كثيرا من الانس يعترضون علي ربهم عز وجل فيقولون له لم خلقها
فانه ليس في خلقها منفعة ولافائدة ولا حكمة بل كله ضرر . قال
الصرصر : ولم يقولون ذلك ؟ قالت : من أجل السم الذى بين
فكيها فانهم يقولون انه ليس فيها منفعة الاالهلاك للحيوانات وموتها
كل ذلك جهل منهم بمعرفة حقائق الاشياء ومنافعها ومضارها . ثم
قالت : لاجرم ان الله تعالى ابتلاهم بها وعاقبهم على ذلك حتي احوج
ملوكهم الى اختبائها تحت فصوص الخواتم لوقت الحاجة . فلو انهم
فكروا واعتبروا أحوال الحيوانات وتصاريف أمورها لتبين لهم ذلك
وعرفوا عظيم منفعة السموم فى فكوك الافاعي وما قالوا لم خلقها الله
عز وجل وما الفائدة فيها . ولو عرفوا ذلك لما قالوا ولما اعترضوا على
ربهم في أحكام مصنوعاته لان البارى تعالى وان خلق السم سبب
هلاك الحيوانات في بزاقها لكن جعل لحومها سبباً لدفع تلك السموم

ثم قال الصرصر . اذكر أيها الحكيم فائدة أخرى وعرفنا لنكون على علم منها . قالت الحية : نعم أيها الخطيب الفاضل انَّ البارى الحكيم لما خلق هذه الحيوانات التي ذكرتها في خطبتك وقلت انه أعطي كل جنس الآلات والادوات ليجر المنفعة فأعطي بعضها معدة حارة أو كرشاً أو قانصة لهضم الكيموس فيها بعد مضغ شديد ويصير غذاء لها ولم يعط للحيات لامعدة حارة ولا قانصة ولا كرشاً ولا اضراساً تمضغ اللحمان بل جعل فى فكها عوضاً عنها سما حارامنضجاً لما تأكل من اللحمان وذلك انها اذا قبضت على جثث الحيوانات وجعلتها بين فكيها أفاضت من ذلك السم عليها لتهزلها من ساعتها وتبتلعها وتزدردها من ساعتها وتستمرئها فلولم يخلق لها هذا السم لما استوى لها أكل ولا حصل لها غذاء ولماتت جوعاً وهلكت عن آخرها وما بقي منها ديار . .

فقال الصرصر : لعمرى لقد تبين لى منفعتها فما منفعة الحيات للحيوانات وما الفائدة في خلقها وكونها في الارض بين الهوام ؟ قالت كمنفعة السباع للوحوش والانعام وكمنفعة التنين والكواسج في البحر وكمنفعة النسور والعقبان والجوارح بين الطيور . قال الصرصر : زدني بياناً . قال . نعم ان الله تعالى أبدع الخلق واخترعه بقدرته ودبر الامور بمشيئته فجعل قوام الخلائق بعضها ببعض وجعل لها عللاوأسباباً لما رأى فيها من اتقان الحكمة وصلاح الكل ونفع العام ولكن ربما يعرض من جهة العلل والاسباب آفات وفساد لبعضهم لاالقصد من

الخالق تعمداً ولكن لعلمه السابق بما يكون قبل أن يكون ولم يمنع علمه بما يكون فيها من الفساد والآفات أن لا يخلقها اذا كان النفع منها أعم والصلاح أكثر من الفساد . بيان ذلك ان الله تعالى لما خلق الشمس والقمر وسائر كواكب الفلك جعل الشمس سراجاً للعالم وحياة وسبباً للكائنات بحرارتها ، ومحلها من العالم محل القلب من البدن فكما ان من القلب تنبعث الحرارة الغريزيه الى سائر أطراف البدن التى هي سبب الحياة وصلاح الجملة كذلك حكم الشمس وحرارتها ، فانها حياة وصلاح للكل والنفع للعام ولكن ربما يعرض منها تلف وفساد لبعض الحيوانات والنبات ولكن يكون ذلك معفوا من حيث النفع العميم وصلاح الكل

وهكذا حكم زحل والمريخ وسائر الكواكب فى الفلك خلقها لصلاح العالم والنفع العام وان كان قد يعرض في بعض الاحايين المناحس من افراط حر أو برد ، وهكذا حكم الامطار يرسلها الله لحياة البلاد وصلاح العباد من الحيوان والنبات والمعادن وان كان ربما يكون فسادا وهلاكا لبعض الحيوانات والنبات أو تخريب بيوت العجائز بالسيول فهكذا حكم الحيات والسباع والتنين والتمساح والهوام والحشرات والعقارب والجرارات : كل ذلك يخلقه الله تعالى من المواد الفاسدة والعفونات الكائنة ليصفو الجو والهواء منها لئلا يعرض لها الفساد من البخارات الفاسدة المتصاعدة فيعفن فيكون أسبابا للوباء وهلاك الحيوانات كلها دفعة واحدة .

بيان ذلك ان الديدان والذبان والبق والخنافس لا تكون في دكان البزاز والنجار والحداد بل أكثر ذلك يكون فى دكان القصاب واللبان أو الدباس أو السمان أو السماك أوفي السرقين واذا خلق الله تعالى من تلك العفونات امتصت مافيها واغتذت بها فصفا الهواء منها وسلم من الوباء ثم تكون تلك الحيوانات الصغار مأكولات وأغذية لما هو أكبر منها : ذلك من حكمة الخالق لانه لا يصنع شيئاً بلا نفع ولا فائدة فمن لا يعرف هذه النعم فربما يعترض على ربه فيقول لم خلقها ؟ وما النفع فيها ؟ كل ذلك جهل منه واعتراض من غير علم على ربه في أحكام صنعه وتدبيره في ربوبيته . وقد سمعنا بان جهلة الانس يزعمون أن عناية البارى تعالى لم تتجاوز فلك القمر . فلو أنهم فكروا واعتبروا أحوال الموجودات لعلموا وتبين لهم ان العناية شاملة لصغير الجثة وكبيرها بالسوية ولما قالوا الزور والبهتان تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم

ولما كان من الغد ووردت زعماء الحيوانات من الآفاق وقعد الملك لفصل القضاء نادى مناد : الا من له مظلمة ، الا من له حكومة فليحضر فان الحاجات تقضي لان الملك قد جلس لفصل القضاء وحضر قضاة الجن وفقهاؤها وعدولها وحكامها وحضرت الطوائف الواردون من الآفاق من الانس والحيوانات فاصطفت قدام الملك ودعت له بالتحية والسلام . ثم نظر الملك يمنة ويسرة فرأى من أصناف الخلائق واختلاف الصور وفنون الاشكال والالوان والاصوات

والنغمات فيها فبقي متعجباً منها ساعة ثم التفت الى حكيم من فلاسفة الجن فقال : ألا ترى الى هذه الخلائق العجيبة الشأن من خلق الرحمن؟ قال : نعم أيها الملك أراها بعين رأسي وأشاهد صانعها بعين قلبي والملك متعجب منها وأنا متعجب من حكمة الصانع الحكيم الذى خلقها وصورها وأنشأها وبراها ورباها ويرزقها ويحفظها « و يعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين » عنده لاغلط ولا نسيان بل لتحقيق و بيان لأنه لما احتجب عن رؤية الابصار بحجب الانوار وجل وعلا عن تصور الاوهام والافكار أظهر مصنوعاته الى مشاهدة الابصار واخرج مافي مكنون غيبه الى الكشف والاظهار ليدركه العيان و يستغني عن الدليل والبرهان . واعلم أيها الملك الحكيم ان هذه الصور والاشكال والهيا كل والصفات التى تراها فى عالم الاجسام وظواهر الاجرام هى مثالات وأشباح وأصنام لتلك الصور التي في عالم الارواح غير ان تلك نورانية شفافة وهذه ظلمانية كثيفة ومناسبة هذه الى تلك كمناسبة التصاوير التي علي وجوه الالواح وسطوح الحيطان الى هذه الصور والاشكال التى عليها هذه الحيوانات من اللحم والدم والعظام والجلود لان تلك الصور التي في عالم الارواح محركات وهذه متحركات والتي دون هذه سواكن لها صامتات وهذه محسوسات وتلك معقولات وتلك باقيات وهذه فانيات باليات زائلات فاسدات .

ثم قام حكيم الجن فخطب فقال :الحمدلله خالق المخلوقات و بارىء

البريات ومبدع المبدعات ومخترع المصنوعات ومقدر الازمان والدهور والاوقات ومنشيء الاماكن والجهات ومدبر الافلاك وموكل الاملاك ورافع السموات المسكونات وباسط الارضين المدحيات من تحت طبقات السموات ومصور الخلائق ذوى الاوصاف المختلفات والالوان واللغات هو المنعم عليها بأنواع العطايا وفنون الدرايات خلق فبرأ وقدر فهدى وأمات وأحيي وجل وعلا وهو القريب والبعيد قريب في الخلوات من ذوى المناجاة بعيد من ادراك الحواس المدركات ، كلت ألسن الواصفين له بكنه الصفات وتحيرت عقول ذوى الالباب بالفكرة فى جلال عظمته وعز سلطانه ووضوح آياته وبرهانه وهو الذى خلق الجان من قبل خلق آدم من نار السموم أرواحاً خفيفة وأشباحاً لطيفة وصوراً عجيبة بحركات سريعة تسبح في الجو كيف يشاء بلا كد ولا عناء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس . وهو الذي خلق خلائق من الجن والانس والملائكة والحيوان أصنافاً ورتبها ونوعها كما شاء فمنها ماهي فى أعلى عليين وهي الملائكة المقربون وعباده المصطفون خلقهم من نور عرشه وجعل منهم حملته ومنها في أسفل سافلين وهم مردة الشياطين واخوانهم من الكافرين المشركين والمنافقين من الجن والانس أجمعين ، ومنها مابين ذلك وهم عباده الصالحون من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات . والحمد لله الذى أكرمنا بالايمان وهدانا الى الاسلام وجعلنا خلفاء في الارض كما ذكره فقال : « لننظر كيف تعملون »

والحمد لله الذى خص ملكنا بالحلم والعلم والاحسان وذلك من فضل الله علينا فاسمعوا له وأطيعوا ان كنتم تعلمون . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

فلما فرغ حكيم الجن من كلامه نظر الملك الى جماعة الانس وهم وقوف نحو سبعين رجلا مختلفي الهيئآت واللباس واللغات والالوان فرأى فيهم رجلا معتدل القامة مستوى البنية حسن الصورة مليح البزة لطيف الحلية صافي البشرة حلو المنظر خفيف الروح فقال للوزير : من هو ذلك ومن أين هو ؟ قال : رجل من بلاد ايران المعروف بالعراق.قال الملك : قل له يتكلم . فأشار اليه الوزير. فقال العراقي : سمعاً وطاعة . فقال :

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين وصلى الله على محمد وآله أجمعين ، والحمد لله الواحد الاحد الصمد الفرد الحنان المنان ذى الجلال والاكرام الذى كان قبل الاماكن والازمان والجواهر والاكوان ذوات الكيان ، ثم ابتدأ فاخترع وأخرج من مكنون غيبه نورا ساطعاً ومن النور نارا أجاجاً وبحرا رجراجا وجمع بين النار والماء فكان دخاناً موردا وزبدا ملبدا فخلق من الدخان السموات المسموكات ومن الزبد الارضين المدحيات وثقلها بالجبال الراسيات . وحفر البحار الزاخرات وأرسل الرياح الذاريات بتصاريفها فى الجهات . وأثار من البحار البخارات المتصاعدات . ومن الارضين الدخانات المتكرات . وألف منها

الغيوم والسحب المنشآت وساقها بالرياح الى البرارى والفلوات وأنزل منها القطر والبركات . وأنبت العشب والنبات متاعا لنا ولانعامنا ، والحمد لله « الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسباً وصهرا » و « خلق منها زوجها » ليسكن اليها « وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » وبارك في ذريتهما وسخر لهم مافي البر والبحر متاعا الى حين ، ثم انهم بعد ذلك لميتون ، ثم انهم يوم القيامة يبعثون ويحاسبون ويجازون ما كانوا يعملون، والحمدلله الذى خصنا بأوسط البلاد سكنا وأطيبها هواء ونسيما وتربة وأكثرها أنهارا وأشجارا وفضلنا على كثير ممن خلق من عباده تفضيلا . فله الحمد والمن والثناء اذ خصنا بذكاء النفوس وصفاء الاذهان ورجحان العقول فنحن بهداية الله استنبطنا العلوم الغامضة وبرحمته استخرجنا الصنائع البديعة وعمرنا البلاد وحفرنا الأنهار وغرسنا الاشجار وبنينا البنيان ودبرنا الملك والسياسة وأوتينا النبوة والرياسة ، فمنا نوح النبي وادريس الرفيع وابراهيم الخليل وموسى الكليم وعيسي الروح الامين ومحمد خاتم النبيين صلي الله علية وسلم ، وصلوات الله علي جميع الانبياء والمرسلين . ومنا كانت الملوك الفاضلة مثل افريدون النبطي ومنوجهر البيشدادى ودارا الكياني واردشير بابكان الفارسي وبهرام ونوشيروان وبزرجمهر بن بختكان الحكيم وملوك الطوائف من آل ساسان الذين شقوا الانهار وأمروا بغرس الاشجار وبنيان المدن والقرى ودبروا الملك والسياسة والجنود والرعية . فنحن لب الناس والناس لب الحيوان والحيوان

لب النبات والنبات لب المعادن والمعـادن لب الاركان فنحن لب الالباب فلله الحمد وله المن وله الشكر والثناء واليه المصير بعد الهرم والموت . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

ثم قال الملك لمن كان حاضرا من حكماء الجن : ماذا تقول فيما قال هـذا الانسي من الاقاويل وما ذكر من فضائلهم وافتخر به ؟ قالوا : صدق في كل ماقال وتـكلم به غيرواحد من حكماء الجن يقال له صاحب العزيمة والصرامة انه ما كان يحابي أحدا اذا تكلم فأقبل وآخذه على خطائه وزلله ورده عن غيه وضلاله. فقال: يامعشر الحكماء قد ترك هذا الانسي العراقي شيئا لم يذكره في خطبته وهو ملاك الامر وعمدته. فقال الملك : وما هو ؟ قال : لم يقل ومن عندنا خرج الطوفان فغرق ماعلى وجه الارض من النبات والحيوان ، وفي بلادنا اختلفت الانس وتبلبلت العقول وتحير أولو الالباب ، ومنا كان نمرود الجبار ، ونحن طرحنا ابراهيم في النار ومما كان بختنصر الذي كان مخرب ايليا ومحرق التوراة وقاتل أولاد سليمان بن داود وآل اسرائيل وهو الذي طرد آل عدنان من شط الفرات الى بر الحجاز المتمرد الجبار القتال السفاك للدماء . فقال الملك: كيف يقول هذا ويذكره وكله عليه لا له؟ فقال صاحب العزيمة : ليس من الانصاف في الحكومة والعدل في القضية أن يذكر أحد فضائله ويفتخر بها ولا يذكر مساويه ولا يتوب ولا يعتذر عنها .

ثم ان الملك نظر الى الجماعـة فرأى فيهم رجـلا أسمر نحيف

الجسم طويل اللحية موفر الشعر موشحاً بأزار أحمر على وسطه جوزى وقال : من هو ذاك ؟ قال الوزير : رجل من بلاد الهند من جزيرة سرنديب . فقال الملك للوزير : قل له يتكلم . فقال الهندى : الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد القديم السرمد الذى كان قبل الدهور والازمان والجواهر والاكوان ثم أنشأ بحرا من النور عجاجا فركب منه الافلاك وأدارها وصور الكواكب فسيرها وقسم البروج فأطلعها و بسط الارض فأسكنها وخط الاقاليم وحفر البحار وأجرى الانهار وأرسي الجبال وفسح المفاوز والفلوات وأخرج النبات وكون الحيوانات وخصنا بأوسط البلاد مكانا وأعدلها زمانا حيث يكون الليل والنهار أبدا متساويين والشتاء والصيف معتدلين والحر والبرد غير مفرطين وجعل تربة بلادنا أكثرها معادن وأشجارها طيبة ونباتها أدوية وحيوانها أعظم جثة مثل الفيلة ودوحها ساجا وقصبها قناة وعكرشها خيزرانا وحصاها ياقوتا وزبرجدا وجعل مبدأ كون آدم أبي البشر من هناك ، وهكذا حكم سائر الحيوانات فان مبدأ كونها تحت خط الاستواء ، ثم ان الله تعالى خصنا و بعث من بلادنا الانبياء وجعل أكثر أهلها الحكماء وخصنا بألطف العلوم تنجيما وسحرا وعزائم وكهانة وتوهما وجعل أهل بلادنا أسرع الناس حركة وأخفهم وثبا وأجسرهم على أسباب المنايا اقداما و بالموت تهاونا أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم . قال صاحب العزيمة : ثم أتممت الخطبة وقلت ثم بلينا بحرق الاجسام وعبادة الاوثان والاصنام

والقرود وكثرة أولاد الزنا وسواد الوجوه وأكل الفوفل لكان بالانصاف أليق .

ثم نظر الملك فرأى رجلا آخر فتأمله فاذا هو طويل متردبرداء أصفر بيده مدرجة ينظر فيها ويزمزم ويترجح قداما وخلفا ، فقال : من هو ذاك ؟ فقيل : رجل من الشأم عبراني من آل اسرائيل. فقال الملك له تكلم . قال العبراني : الحمد لله الواحد القديم الحي القيوم القادر الحكيم الذى كان فيما مضي من الدهور والازمان ولم يكن معه سواه ثم بدأ فجعل نورا ساطعا ومن النور نارا وهاجا وبحرا من الماء رجراجا وجمع بينهما وخلق منهما دخانا وزبدا فقال للدخان كن سموات هنا وقال للزبد كن أرضا هنا فخلق السموات وسوى خلقها في يومين وبسط الأرضين ودحاها فى يومين وخلق بين أطباقها الخلائق من الملائكة والجن والانس والطير والسباع فى يومين ثم استوى على العرش في اليوم السابع واصطفي من خلقه آدم أبا البشر ومن أولاده وذريته نوحا ومن ذريته ابراهيم خليل الله ومن ذريته اسرائيل ومن ذريته موسي بن عمران وكلمه وناجاه وأعطاه آية اليد البيضاء والعصا والتوراة وفلق البحر له وأغرق فرعون عدوه وجنوده وأنزل على آل اسرائيل فى التيه المن والسلوى وجعلهم ملوكا وآتاهم مالم يؤت أحدا من العالمين . فله الحمد والمن والمدح والثناء والشكر على النعماء . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم . فقال صاحب العزيمة : نسيت ولم تقل وجعل منا « القردة والخنازير وعبد الطاغوت »

« وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله » . « ذلك لهم خزى في الدنيا ولهم في الآخرة عـذاب عظيم » . « جزاء بما كانوا يعملون »

ثم نظر الملك فرأى رجلا عليه ثياب من الصوف وعلي وسطه منطقة من السيور بيده مبخرة يبخر فيه بالكندر رافعاً صوته يقرأ كلمات ويلحنها. قال ومن هو ذاك ؟ قيل : رجل سرياني من آل المسيح ، قال ليتكلم . قال السرياني : الحمدلله الواحد الاحد الفرد الصمد لم يلد ولم يولد وكان فى بدئه بلا كفؤ أحد ولا عدد ولامدد ثم فلق الاصباح ونور الانوار واظهر الارواح وصور الاشباح وخلق الاجسام وركب الاجرام ودور الافلاك ووكل الاملاك وسوى خلق السموات والارضين المدحيات وأرسي الجبال الراسيات وجعل البحار الزاخرات والبرارى والفلوات مسكناً للحيوان ومنبتاً للنبات والحمدلله الذى اتخذ من العذراء البتول جسد الناسوت وقرن به جوهر اللاهوت وأيده بروح القدس وأظهر على يديه العجائب وأحيي به آل اسرائيل من موت الخطيئة وجعلنا من أتباعه وأنصاره وجعل منا القسيسين والرهبان وجعل في قلوبنا رحمة ورأفة ورهبانية فلله الحمد والشكر والثناء ولنا فضائل تركنا ذكرها . واستغفرالله لى ولكم. قال صاحب العزيمة : قل أيضاً فما رعينا حق رعايتها وكفرنا وقلنا ثالث ثلاثة وعبدنا الصلبان وأكلنا لحم الخنازير فى القربان وقلنا علي الله الزور والبهتان .

ثم نظر الملك الى رجل واقف فتأمله فاذا هو أسمر شديد السمرة نحيف البدن عليه ازار ورداء شبه المحرم راكعا ساجدا يتلو القرآن و يناجي الرحمن فقال من هو ؟ قال : رجل من تهامة قريشي . قال : ليتكلم . فقال : الحمد لله الواحد الاحد الفرد الصمد « الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » . « هو الاول والآخر والظاهر والباطن » الاول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء الظاهر على كل شيء سلطانا والباطن في كل شيء علما ومشيئة ونفاذا وارادة ، وهو العظيم الشان الواضح البرهان الذى كان قبل الاماكن والازمان والجواهر والاكوان ذوات الكيان ثم قال له كن فكان لخلق فسوى وقدر فهدى وهو الذى بنى السماء « فرفع سمكها فسواها واغطش ليلها وأخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعا » لنا ولانعامنا « وما كان معه من اله » ولو كان معه غيره « اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم علي بعض سبحان الله عما يصفون » كذب العادلون بالله وضلوا ضلالا بعيدا وخسروا خسرانا مبينا « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره علي الدين كله ولو كره المشركون » صلي الله على محمد وآله وسلم وعلي عباده الصالحين من أهل السموات وأهل الارض من المؤمنين والمسلمين وجعلنا وايا كم منهم برحمته وهو أرحم الراحمين والحمد لله الذى خصنا بخير الاديان وجعلنا من أمة القرآن وأمرنا بتلاوة الفرقان وصوم شهر رمضان والطواف حول البيت الحرام

والركن والمقام وأكرمنا بليلة القدر والعرفات والزكوات والطهارات والصلوات فى الجماعات والاعياد والمنابر والخطب وفقة الدين وعلم سنن المرسلين والشهداء الصالحين ووعدنا بالدخول في دار النعيم أبد الآبدين ودهر الداهرين والحمدلله رب العالمين وصلي الله علي محمد خاتم النبيين وأمام المرسلين وآله الطاهرين . ولنا فضائل أخرى يطول بشرحها واستغفر الله لى ولكم . قال صاحب العزيمة : قل أيضاً انا تركنا الدين ورجعنا مرتدين بعد وفاة نبينا شاكين منافقين وقتلنا الأئمة الفاضلين الخيرين طلباً للدنيا بالدين .

ثم نظر الملك فرأى رجلا أشقر على رأسه مشدة قائماً فى الملعب بين يديه آلات الرصد. فقال من هو ذاك ؟ قيل رجل من أهل الروم من بلاد يونان . قال ليتكلم . قال اليوناني : الحمدلله الواحد الاحد الفرد الصمد الدائم السرمد كان قبل الهيولى ذات الصور والأبعاد كالواحد قبل الاعداد الازواج والافراد وهو المتعالى عن الانداد والاضداد والحمدلله الذى تفضل وتكرم وأفاض من جوده العقل الفعال الذى هو معدن العلوم والاسرار وهو نور الانوار وعنصر الارواح والحمد لله الذى أنتج من نوره العقل وبجس من جوهره النفس الكلية الفلكية ذات القوة والحركات وعين الحياة والبركات والحمد لله الذى أظهر من قوة النفس عنصر الاكوان ذات الهيولى والمكان والحمد لله خالق الاجسام ذوات المقادير والابعاد والاماكن والازمان والحمد لله مركب الافلاك والكواكب السيارات الموكل

بدورانها النفوس والارواح والملائكة ذوات الصور والاشباح ذوات النطق والافكار والحركات الدرية والاشكال الكرية وجعلها مصابيح الدجي ومشرق الانوار في الآفاق والاقطار والحمد لله مرتب الاركان ذوات الكيان وجعلها مسكن النبات والحيوان والانس والجان وأخرج النبات وجعلها مادة الاقوات وغذاء الحيوان وهو المخرج من قعر البحار وصم الجبال الجواهر المعدنية الكثيرة ذوات المنافع لنوع الانسان والحمد لله الذى فضلنا على كثير ممن خلق تفضيلا وخص بلادنا بكثرة الريف والخصب والنعم السابغة وجعلنا ملوكا بالخصال الفاضلة والسير العادلة ورجحان العقول ودقة التمييز وجودة الفهم وكثرة العلوم والصنائع العجيبة والطب والهندسة وعلم النجوم وتركيب الافلاك ومعرفة منافع الحيوانات والنبات ومعرفة الابعاد والحركات وآلات الارصاد والطلسمات وعلم الرياضيات والمنطقيات والطبيعيات والالهيات . فله الحمد والثناء والشكر على جزيل العطايا ولنا فضل آخر يطول شرحه وأستغفر الله لى ولكم .

قال صاحب العزيمة لليوناني : من أين لكم هذه العلوم والحكم التى ذكرتها وافتخرت بها لولا انكم أخذتم بعضها من علماء بني اسرائيل أيام بطليموس وبعضها من حكماء مصر أيام ثامسطيوس فنقلتموها الى بلادكم ونسبتموها الى نفوسكم ؟ فقال الملك لليوناني : ماذا تقول فيما ذكر ؟ قال صدق الحكيم فيما قال فانا أخذنا أكثر علومنا من سائر الامم كما أخذوا أكثر علومهم منا اذ علوم الناس بعضها من

بعض ولولم يكن كذلك من أين كان للفرس علم النجوم وتركيب الافلاك وآلات الرصد لولا أنهم أخذوها من أهل الهند؟ ومن أين كان لبني اسرائيل علم الحيل والسحر والعزائم ونصب الطلسمات واستخراج المقادير لولا أن سليمان بن داود عليه السلام أخذها من خزائن ملوك سائر الامم لما غلب عليهم ونقلها الى لغة العبرانية وبلاد الشام والى مملكة بلادفلسطين و بعضها ورثها بنو اسرائيل من كتب أنبيائهم التي ألقاها اليهم الملائكة بالوحي والانبياء من الملأ الاعلى الذين هم سكان السموات وملوك الافلاك وجنود رب العالمين ؟ فقال الملك للفيلسوف الجني : ماتقول فيما ذكر ؟ قال صدق انما تبقي العلوم في أمة دون أمة في وقت دون وقت من الزمان اذا صار الملك والنبوة فيها فيلغبون سائر الأمم ويأخذون فضائلها وعلومها وكتبها فينقلونها الى بلادهم وينسبونها الى نفوسهم .

ثم نظر الملك الى رجل عظيم اللحية قوي البنية حسن البزة ناظر في جو السماء يدير بصره مع الشمس كيف مادارت ، فقال من هو ذاك؟ قال رجل من أهل خراسان وبلاد مروشاهان . فقال ليتكلم فقال : الحمدلله الواحد الكبير المتعال العزيز الجبار القوي القهار العظيم الفعال ذي القوة لا اله الا هو اليه المصير الذى يقصر عن كيفية صفاته ألسن الناطقين ولا يبلغ كنه أوصافه أوهام المتفكرين تحيرت في عظم جلاله عقول ذوى الالباب والابصار من المستبصرين . علا فدنا وتدلى وظهر فتجلي « لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار

وهو اللطيف الخبير » احتجب بالانوار قبل خلق الليل والنهار مالك
الافلاك الدائرات ورافع السموات ذوات الاقطار المتباعدات والحمدلله
خالق الاصناف من الخليقة من الملائكة والجن والانس والطير
وجاعل الخلق أصنافه ذوى أجنحة مثني وثلاث ورباع وذوى
رجلين وأربع وما ينساب ويمشي على بطنه وما يغوص في الماء ويسبح
فيه ثم جعلها أنواعا وأشخاصاً ومن بني آدم شعوباً وقبائل وانها مختلفة
ألوانها وألسنتها وديارها وأماكنها وأزمانها ثم قسم عليها أنعامه وافضاله
من مواهبه واحسانه فله الحمد على ما أعطي ووهب من آلائه وعلى ماوعد
من نعمائه والحمدلله الذى خصنا وتفضل وجعل بلادنا أكثر البلدان
وفصلها مدنا وأسواقاً وقرى ومزارع وقلاعا وحصوناً وانهارا
وأشجارا وجبالا ومعادن وحيوانا ونباتا ورجالا ونساء فنساؤنا في قوة
الرجال ورجالنا في شدة الجمال وجمالنا فى عظم الجبال والحمدلله الذى
خصنا ومدحنا على ألسن النبيين بالبأس الشديد والقوة المتينة ومحبة
الدين واتباع أمر المرسلين فقال عز وجل على لسان محمد خاتم النبيين
صلى الله عليه وسلم : « قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد » وقال
عز من قائل : « قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم أولى
بأس شديد » وقال : « فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه »
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو كان الايمان معلقاً بالثريا
لتناوله رجال من أبناء فارس » وقال عليه الصلاة والسلام : « طوبي
لاخواني من رجال فارس يجيئون فى آخر الزمان يحبون سوادا على

بياض يؤمنون بي ويصدقوني » والحمدلله على ماخصنا باليقين والايمان والعمل للآخرة والتزود للمعاد فان منا من يقرأ التوراة ولا يفقه منها شيئاً و يؤمن بموسي و يصدقه ومنا من يؤمن بالانجيل ولا يدري منه شيئاً و يؤمن بالمسيح و يصدقه ومنا من يؤمن بالقرآن و يلحنه ولا يعرف معناه و يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم و يصدقه و ينصره ، ونحن لبسنا السواد وطلبنا بثأر الحسين بن علي عليهما السلام وطردنا البغاة من بني مروان لما طغوا و بغوا وعصوا وتعدوا حدود الدين ونحن نرجو أن يظهر من بلادنا الامام المنتظر فعندنا له أثر وخبر والحمد على ماأعطي ووهب وانعم وأكرم . أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم .

ولما فرغ الفارسي من كلامه نظر الملك الى من حوله من الحكماء وقال : ماذا ترون في هذه الاقاويل التي ذكر ؟ قال رئيس الفلاسفة : صدق فيما قال لولا ان فيهم جفاء الطبع وفحش اللسان وعبادة النيران والسجود للشمس والقمر من دون الرحمن لكان الحق بيدهم . ولما فرغ حكيم الجن من كلامه نادى منادي الملك ألا ياأيها الملأ قد أصبتم فانصرفوا الى مساكنكم مكرمين لتعودوا غداً الى حضرة الملك آمنين .

في بيان صفات الأسد

ولما كان اليوم الثالث وحضر زعماء الطوائف على الرسم ووقفت

مواقفها كالاهس نظر الملك اليها فرأى ابن آوى واقفاً الى جنب الحمار وهو ينظر شزرا و يلتفت يمنة و يسرة شبه المريب الخائف الوجل من الكلاب ، فقال الملك علي لسان الترجمان : من أنت ؟ قال : زعيم الحيوان والسباع . قال : من أرسلك ؟ قال : ملكها . قال من هو ؟ قال : الاسد أبو الحارث . قال لابن آوى : ومن أى البلاد ؟ قال : من الآجام والفيافي والدحال قال من رعيته ؟ قال : حيوان البر من الوحوش والانعام والبهائم . ثم قال من جنوده وأعوانه ؟ قال : النمور والفهود والذئاب و بنو آوى والثعالب وسنانير الوحش وكل ذى مخلب وناب من السباع . قال : صف لى صورته واخلاقه وسيرته فى رعيته وجنوده . قال : نعم أيها الملك هو أكبر السباع جثة وأعظمها خلقة وأقواها بنية وأشدها قوة و بطشاً وأعظمها هيبة وجلالا عريض الصدر دقيق الخصر لطيف المؤخر كبير الرأس مدور الوجه واضح الجبين واسع الشدقين مفتوح المنخرين متين الزندين حاد الانياب صلب المخالب براق العينين جهير الصوت شديد الزئير شجاع القلب هائل المنظر لايهاب أحدا ولا يقوم بشدة بأسه الجواميس والفيلة والتمساح ولا الرجال ذوو البأس الشديد ولا الفرسان ذوو السلاح الشاك المدرعة ، وهو شديد العزيمة صارم الرأى ، اذا هم بأمر قام اليه بنفسه لا يستعين بأحد من جنوده وأعوانه ، وسخي النفس اذا اصطاد فريسة أكل منها وتصدق بباقيها علي جنوده وخدمه ، ظليف النفس عن الامور الدنية لايتعرض للنساء والصبيان

كريم الطبع اذا رأى ضوءا من بعيد ذهب نحوه فى ظلم الليل ووقف منه بالبعيد وسكنت سورة غضبه ولانت صولته ، واذا سمع نغمة طيبة قرب منها وسكن اليها ، لايفزع من شيء ولا يتأذى الا من النمل الصغار فانها مسلطة عليه وعلى أشباله كسلطان البق على الفيلة والجواميس وكسلطان الذباب على الملوك الجبابرة من بني آدم . قال : كيف سيرته في رعيته ؟ قال : أحسن سيرة وأجملها وأعدلها .

فى بيان صفة العنقاء

ثم نظر الملك الى الطوائف الحضور هناك ورأى الببغاء قاعدا على غصن شجرة بالقرب وهو ينظر ويتأمل كل من يتكلم من الجماعة الحضور وينطق فهو يحاكيه في كلامه وأقاويله . فقال له الملك : من أنت ؟ قال : زعيم الجوارح من الطير . قال : من أرسلك ؟ قال : ملكها . قال : من هو ؟ قال : العنقاء . قال : أين يأوي من البلاد ؟ قال : على أطواد الجبال الشامخة في جزيرة البحر الاخضر التى قلما يبلغ اليها مراكب البحر أو أحد من البشر . قال : صف لنا هذه الجزيرة . قال : نعم أيها الملك هي طيبة التربة معتدلة الهواء تحت خط الاستواء عذبة المياه من العيون والأنهار كثيرة الاشجار من دوح الساج العالية في جو الهواء وقصب آجامها القناء وعكرشها الخيزران وحيواناتها الفيلة والجواميس والخنازير وأصناف أخر لايحصيها الا الله عز وجل . قال : صف لنا صورة العنقاء وأخلاقها وسيرتها . قال : نعم

هو أكبر الطيور جثة وأعظمها خلقة وأشدها طيرانًا كبير الرأس عظيم المنقار كأنه معول من الحديد حاد المخالب مقوسات كأنها خطاطيف من الحديد عظيم الجناحين اذا نشرها كأنهما شراعان من شرع مراكب البحر وله ذنب مناسب لها كأنه منارة نمرود الجبار ، واذا انقض من الجو في طيرانه تهتز الجبال من شدة تموج الهواء من خفقان جناحيه وهو يختطف الجواميس والفيلة من وجه الارض في طيرانه . قال : كيف سيرته ؟ قال . أحسنها وأذكرها بعد هذا .

﴿ فى بيان صفة الثعبان والتنين ﴾

ثم ان الملك نظر يمنة ويسرة فاذا هوسمع نغمة وطنينًا من سقف حائط كان بالقرب من هناك وهو يترنم ويزمزم ولا يهدأ ساعة ولا يسكت ، فتأمله فاذا هو صرصر واقف يحرك جناحيه له حركة خفيفة سريعة تسمع لها نغمة وطنين كما يسمع لوتر الزير اذا حرك ، فقال له الملك : من أنت ؟ قال : زعيم الهوام والحشرات . قال : من أرسلك قال : ملكها . قال : من هو قال : الثعبان . قال : أين يأوى من البلاد . قال : فى رؤوس التلال والجبال المرتفعة التى فوق كرة النسيم عند كرة الزمهرير حيث لا يرتفع الى هناك سحاب ولا غيوم ولا يقع هناك أمطار ولا ينبت نبات ولا يعيش حيوان من شدة برد الزمهرير . قال : فمن جنوده وأعوانه . قال الحيات والجرارات والحشرات اجمع قال فاين يأوى ؟ قال فى الارض بكل مكان منهم أمم وخلائق

لايحصي عددها الا الله عز وجل الذى خلقها وصورها ورتبها ويعلم مستقرها ومستودعها .

قال الملك : ولم ارتفع الثعبان الى هناك من بين جنوده وأعوانه وأبناء جنسه ؟ قال : يستروح ببرد الزمهرير من شدة وهج السم الذي بين فكيه وتلهبها في جسده . قال صف لنا صورته وأخلاقه وسيرته . قال صورته كصورة التنين وأخلاقه كأخلاقه وسيرته كسيرته . قال الملك : من لنا بوصف التنين ؟ قال : الصرصر زعيم حيوان الماء . قال من هو ؟ قال هو ذاك الراكب على الخشبة فنظر الملك فاذا هو بالضفدع راكبًا خشبة على ساحل البحر بالقرب هناك يزمر ويترنم بأصوات له تسبيحًا لله وتكبيرا وتحميدا وتهليلا لا يعلمها الا هو والملائكة الكرام البررة . قال الملك : من أنت ؟ قال زعيم حيوان الماء . قال من أرسلك ؟ قال ملكها . قال ومن هو ؟ قال : التنين . قال أين يأوى من البلاد ؟ قال فى قعر البحار حيث الأمواج المتلاطمة ومنشأ السحب المتراكمة والغيوم المؤلفة . وقال : من جنده وأعوانه ؟ قال التماسيح والكواسج والدلافين والسرطانات وأصناف من الحيوانات البحرية لايحصي عددها الا الله الذى خلقها ورزقها قال : صف لنا صفة التنين وأخلاقه . قال : نعم أيها الملك هو حيوان عظيم الخلقة عجيب الصورة طويل القامة عريض الجثة هائل المنظر مهول المخبر يخافه ويهابه حيوانات البحر أجمع لشدة قوته وعظم صورته اذا تحرك تموج البحر من شدة سرعة سباحته ، كبير الرأس براق

العينين واسع الفم والجوف كثير الاسنان يبلع كل يوم من حيوانات البحر عددا لايحصي واذا امتلأ جوفه منها واتخم تقوس والتوى واعتمد على رأسه وذنبه و رفع وسطه خارجا من الماء مرتفعاً في الهواء مثل قوس قزح يتشرق في عين الشمس ويستريح نحوها ليستمرئ مافي جوفه وربما عرض له وهو على تلك الحالة غشية وسكر وتنشأ السحابة من تحته وترفعه وترمي به الى البر فيموت ويأكل من جيفته السباع أياماً وترمي به الى ساحل بلاد يأجوج ومأجوج الساكنين من وراء السد وهما أمتان صورهما ونفوسهما سبعية لا يعرفان التدبير ولا السياسة ولا البيع ولا التجارة ولا الصنائع ولا الحرفة ولا الحرث ولا الزرع بل تكون حرفتهم الصيد من السباع والوحوش والسمك ، والنهب والغارة بعضها من بعض وأكل بعضها بعضاً

واعلم أيها الملك بأن كل حيوانات البحر تفزع من التنين وتهابه وهو لا يفزع من شيء الا من دابة صغيرة تشبه الكزود أو الجرجس تلسعه وهو لا يقدر عليها بطشاً ولا منها احترازا واذا لسعته دب سمها في جسده فمات فاجتمعت عليه الحيوانات البحرية فأكلته فيكون لها عشاء وغداء أياماً من جثته كما يأكل صغار السباع كبارها مدة من الزمان وهكذا حكم الجوارح من الطير . وذلك ان العصافير والقنابر والخطاطيف وغيرها تأكل الجراد والنمل والذباب والبق وما شاكلها ثم ان البواشق والشواهين وما شاكلها تصطاد العصافير والقنابر وتأكلها . ثم ان البزاة والصقور والنسور والعقبان تصطادها وتأكلها

ثم انها اذا ماتت أكلها صغارها من النمل والذباب والديدان وهكذا
مسيرة بني آدم فانهم يأكلون لحوم الجداء والحملان والغنم والبقر
والطير وغيرها . ثم اذا ماتوا أكلتهم في قبورهم وتوابيتهم الديدان
والنمل والذباب فتارة يأكل صغار الحيوانات كبارها وتارة تأكل
كبارها صغارها ومن أجل هذا قالت الحكماء الطبيعيون من الانس
ان في فساد شيء يكون صلاح شيء آخر . قال الله عز وجل . «وتلك
الايام نداولها بين الناس» وقال . «وما يعقلها الا العالمون» وقد
سمعنا أن هؤلاء الانس يزعمون أنهم أربابنا ونحن عبيد لهم مع سائر
الحيوانات فهلا يتفكرون فيما وصفت من تصاريف أحوال الحيوانات
هل بينها و بينهم فرق فيما ذكرنا بأنهم تارة آكلون وتارة مأكولون
فماذا يفتخر بنو آدم علينا وعلى سائر الحيوانات وعاقبة أمورهم مثل
عاقبة أمورنا وقد قيل ان الاعمال بخواتيمها وكلهم من التراب واليه
مصيرهم ؟

ثم قال الضفدع : اعلم أيها الملك انه لما سمع التنين قول الانس
وادعاءهم على الحيوانات انها عبيدهم وانهم أرباب لها تعجب من
قولهم الزور والبهتان وقال . ما أجهل هؤلاء الآدميين واشد طغيانهم
واعجابهم بأنفسهم ومكابرتهم لاحكام العقول كيف يجوزون ان يكون
السباع والوحوش والجوارح والثعابين والتنانين والتماسيح والكواسج
عبيدا لهم وخلقت من أجلهم فلا يتفكرون و يعتبرون بأنه لو خرجت
عليهم السباع [illegible] وانقضت عليهم الجوارح من الجو

ونزلت عليهم الثعابين من رؤس الجبال وخرجت اليهم التماسيح والتنانين من البحر فحملت على الانس حملة واحدة هل كان يبقى منهم احد ؟ وانها لو خالطتهم في ديارهم ومنازلهم هل كان يطيب لهم عيش او حيوة معها فلا يتفكرون فى نعم الله عليهم حين صرفها عنهم وابعدها من ديارهم ليدفع ضررها عنهم وانما غرهم كون هذه الحيوانات السليمة الاسيرة في ايديهم التى لاشوكة لها ولا صولة ولا حيلة فهم يسومونها سوء العذاب ليلا ونهارا واخرجهم ذلك الى هذا القول بغير حق ولا برهان .

ثم نظر الملك الى جماعة الانس وهم وقوف نحوا من سبعين رجلا مختلفي الالوان والصفات والزى واللباس فقال لهم : قد سمعتم ماقال الحيوانات . فاعتبروا وتفكروا فيه . ثم قال لهم : من ملككم ؟ قالوا لنا عدة ملوك . قال : فأين ديارهم ؟ قالوا في بلدان شتي كل واحد في مدينة بجنوده ورعيته . فقال الملك : لاى علة وأى سبب صار لهذه الطوائف من الحيوانات لكل جنس منها ملك واحد مع كثرتها وللانس ملوك عديدة مع قلتهم ؟ قال زعيم الانس العراقى : نعم أيها الملك أنا الذى أخبرك ما العلة والسبب في كثرة ملوك الانس مع قلة عددهم وقلة ملوك الحيوانات مع كثرة عددها . قال الملك : ماهي قال : لكثرة مآرب الانس وفنون تصاريفهم فى أمورهم واختلاف أحوالهم احتاجوا الى كثرة الملوك وليس حكم سائر الحيوانات كذلك وكصلة أخرى ان ملوكها انما هي بالا[illegible] الجثة وعظم

الخلقة وشدة القوة فاما حكم ملوك الانس فربما يكون بخلافه وذلك انه ربما يكون الملك أصغرهم جثة وألطفهم بنية وأضعفهم قوة وانما المراد من الملوك حسن السياسة والعدل في الحكومة ومراعاة أمر الرعية وتفقد احوال الجنود وترتيبهم مراتبهم والاستعانة بهم في الامور المشاكلة لهم وذلك ان رعية ملوك الانس وجنودهم وأعوانهم أصناف ولهم صفات شتى فمنهم حملة السلاح الذين بهم يبطش الملك باعدائه ومن خالف أمره من الدعاة والخوارج واللصوص وقطاع الطريق والعيارين ومن يريد الفتن والفساد في البلاد . ومنهم الوزراء والكتاب وأصحاب الدواوين وجباة الخراج الذين بهم يجمع الملك الاموال والذخائر وأرزاق الجنود وما يحتاج من الامتعة والثياب والاثاث . ومنهم البناء والدهاقين والمزارعون وأرباب الحرث والنسل وبهم عمارة البلاد وقوام المعاش للكل . ومنهم القضاة والفقهاء والعلماء الذين بهم قوام الدين وأحكام الشريعة اذ لا بد للملك من دين وحكم وشريعة يحفظ بها الرعية ويسوسهم ويدبروا أمورهم على أحكم حال وأحسنها . ومنهم التجار والصناع وأصحاب الحرف والمتعاونون في المعاملات والتجارات والصنائع في المدن والقرى الذين لا يستقيم أمر المعاش وطيب الحياة الا بهم ومعاونتهم بعضهم لبعض . ومنهم الخدم والغلمان والحرم والجوارى والوكلاء وأصحاب الخزائن والفيوج والرسل وأصحاب الاخبار والندماء المختصون ومن شا كلهم ممن لا بد للملوك منهم في تمام السيرة وكل هؤلاء الطوائف الذين ذكرتهم لا بد

للملك من النظر في أمورهم وتفقد أحوالهم والحكومة بينهم . فمن أجل هذه الخصال احتاج الانس الى كثرة الملوك وصار فى كل بلد أو مدينة ملك واحد يدبر أمرها وأمر أهلها كما ذكرت ، ولم يكن يمكن أن يقوم بأمورها كلها ملك واحد لان أقاليم الارض سبعة فى كل أقليم عدة من البلدان وفي كل بلاد عدة مدن وفى كل مدينة خلائق كثيرة لا يحصي عددها الا الله عزوجل . وهم مختلفو الالسنة والاخلاق والآراء والمذاهب والاعمال والاحوال والمآرب فلهذه الخصال وجب في الحكمة الالهية والعناية الربانية ان تكون ملوك الانس كثيرة وكل ملوك بني آدم خلفاء الله في الارض ملكهم بلاده وولاهم عباده ليسوسوهم ويدبروا أمورهم ويحفظوا نظامهم ويتفقدوا أحوالهم ويقمعوا الظلمة وينصروا المظلوم ويقضي بالحق وبه يعدلون فيأمرون باوامر الله وينهون بنواهيه ويتشبهون به في تدبيرهم وسياستهم اذ كان الله تعالى هو سائس الكل ومدبر الخلائق أجمعين من أعلى عليين الى أسفل سافلين وحافظهم وخالقهم ورازقهم ومبدئهم ومعيدهم كما شاء وكيف شاء لايسأل عما يفعل وهم يسئلون . أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم

في بيان النحل وعجائب أمورها وما خص بها من الكرامات والمواهب دون غيرها من الحشرات

فلما فرغ زعيم القوم الانسي من كلامه نظر الملك الى الجماعة

الحضور من أصناف الحيوانات فسمع دويا وطنينا فإذا هو أمير النحل وزعيمها الملقب باليعسوب واقفا في الهواء يحرك جناحيه حركة خفيفة يسمع لها دوى وطنين مثل نغمة الزير من أوتار العود وهو يسبح الله ويقدسه ويهلله . قال الملك : من أنت ؟ فقال : زعيم الحشرات وأميرها . فقال : لم جئت بنفسك ولم لم ترسل رسولا من رعيتك وجنودك كما ارسلت سائر طوائف الحيوانات ؟ قال اشفاقا عليهم ورحمة لهم ان ينال احدا منهم سوء او مكروه او اذية . قال له الملك : كيف خصصت بهذه الخصلة دون غيرك من ملوك سائر الحيوانات ؟ قال : انما خصني ربي تعالى من جزيل مواهبه ولطيف انعامه وعظيم احسانه بما لا أحصيها . قال له الملك : اذكر طرفا منها لأسمعه وبينه لأفهمه. قال نعم ان مما خصنى الله تعالى وأنعم به علي وعلى آبائي وأجدادى وأولادى وذريتى أن آتانا الملك والنبوة التى لم تكن لحيوانات اخر وجعلها وراثة من آبائنا وأجدادنا وذرياتنا يتوارثها خلف عن سلف الى يوم القيامة وهما نعمتان عظيمتان جزيلتان مغبون فيهما اكثر الخلائق من الجن والانس وسائر الحيوانات . ومما خصنا ربنا وانعم به علينا أن ألهمنا وعلمنا دقة الصنائع الهندسية من اتخاذ المنازل وبناء البيوت وجمع الذخائر فيها . ومما خصنا به ايضا وانعم علينا ان احل علينا الاكل من كل الثمرات ومن جميع ازهار النبات . ومما خصنا وأنعم به علينا ان جعل الله فى مكاسبنا وذخائرنا وما يخرج من بطوننا شرابا حلوا لذيذا فيه شفاء للناس وتصديق ما ذكرت قول الله علي

اسان نبيه عليه السلام : « واوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون » ومما خصنا وانعم به علينا ان جعل خلقة صورتنا وهيا كلنا وجميل اخلاقنا وحسن سيرتنا وتصاريف امورنا عبرة لاولى الالباب وآية لأولى الابصار وذلك انه خلق لى خلقة لطيفة و بنية نحيفة وصورة عجيبة .

بيان ذلك أنه جعل بنية جسدى ثلاث مفاصل محزوزة فجعل وسط جسدى مربعاً مكعباً ومؤخر جسدى مدمجاً مخروطاً ورأسي مدورا مبسوطاً وركب في وسطى أربعة ارجل ويدين متناسبات المقادير كاضلاع الشكل المسدس في الدائرة لاستعين بها على القيام والقعود والوقوع والنهوض واقدر أساس بناء منازلى و بيوتي على اشكال ميسدسات مكتنفات لا يداخلها الهواء فيضر باولادى او يفسد شرابي الذى هو قوتى وذخائرى و بهذه الاربعة الارجل واليدين اجمع من ورق الاشجار والزهر والثمار الرطوبات الدهنية التى ابني بها منازلى و بيوتي وجعل سبحانه وتعالى على كتفى اربعة اجنحة خفيفة حريريه لأسيح في الطيران في جو السماء وجعل مؤخر بدني مخروط الشكل مجوفاً مدمجاً مملوءا هواء ليكون موازيا لثقل رأسي في الطيران وجعل لى حمة حادة كأنها شوكة وجعلها سلاحالي لأخوف بها اعدائي وازجر بها من يتعرض لى او يؤذيني وجعل رقبتى دقيقة ليسهل بها

تحريك رأسي يمنة و يسرة ، وجعل رأسى مدورا عريضاً ، وركب في جنبي رأسي عينين براقتين كأنهما مرآتان مجلوتان وجعلها آلة لي لادراك المرئيات والمبصرات من الالوان والاشكال في الانوار والظلمات ، وانبت على رأسى شبه قرنين لطيفين لينين وجعلها آلة لى لأحس بهما الملموسات اللينة من الخشونة والصلابة من الرخاوة والرطوبة من اليبوسة ، وفتح لى منخرين وجعلها آلة لى اتنسم بهما الروائح الطيبات ، وجعل لى فماً مفتوحاً فيه قوة ذائقة أتعرف بهـا الطعوم الطيبـات من المطعومات المأكولات والمشروبات ، وجعل لى مشفرين حادين اجمع بهما من ثمر الاشجار ومن ورق النبات والازهار وانوار الاشجار رطوبات لطيفة ، وجعل في جوفنا قوة جاذبة وماسكة وهاضمة طابخة منضجة يصير تلك الرطوبات عسلا حلوا لذيذا شراباً صافياً غذاء لى ولاولادى وذخرا وعوناً لشتوتنا كما جعل في ضروع الانعـام قوة هاضمة يصير الدم لبناً خالصا سائغا للشاربين . فأنا من اهل هذه النعم والمواهب التي خصنى الله تعـالى بها وصيرني مجتهدا في كثرة الذكر لهـا واداء شكرها بالتسبيح لربي والتهليل والتكبير والتحميد والتمجيد آناء الليـل والنهار وحسن مراعاة رعيتي وتفقد احوالهـم واستصلاح امور جنودي واعواني وتربية اولادى لاني لهم كالرأس من الجسد وهم كالاعضاء من البدن لاقوام لاحدهما الا بالآخر ولا صلاح الا بصلاح الآخر فلهذا جعلت نفسى فداءهم في اشياء كثيرة من الامور الخطيرة اشـفاقاً عليهم ورحمة لهم ، ولهذا الذى

ذكرت جئتم بنفسي رسولا وزعيما نائبا عن رعيتي وجنودى .

فلما فرغ اليعسوب من كلامه . قال الملك : بارك الله فيك من خطيب ما أفصحك ! ومن حكيم ما اعلمك ! ومن رئيس ما احسن رئاستك وسياستك ! ومن ملك ما انعم رعايتك ! ومن عبدما اعرفك بانعام ربك ومواهب مولاك ! . ثم قال الملك : فأين يأوون من البلاد؟ فقال : فى رؤس الجبال والتلال و بين الاشجار والدحال ، ومنا من يجاور بني آدم في منازلهم وديارهم . قال الملك : وكيف عشرتهم لكم وكيف تسلمون منهم ؟ قال : أما من بعد منا في منازلهم وديارهم فسلم على الامر الاكثر ، ولكن ربما يجيئون الينا فى طلبنا و يتعرضون لنا بالاذية فاذا ظفروا بنا خربوا منازلنا وهدموا بيوتنا ولم يبالوا أن يقتلوا اولادنا و يأخذوا مكاسبنا وذخائرنا وتقاسموا عليها و يستأثرون بها دوننا . قال الملك : وكيف صبركم عليهم وعلى ذلك الظلم منهم ؟ قال : صبر المضطر تارة كرها وتارة وهبا وتسليما ان عصينا وهربنا وتباعدنا من ديارهم جاؤا خلفنا يطلبون الصلح و يرضوننا بالهدايا من العطر و بألوان من الحيل من اصوات الطبول والدفوف والزمور والهدايا المزخرفة من الدبس والتمر فنصالحهم ونراجعهم لما فى طباعنا من الخيرية وما فى صدورنا من السلامة وقلة الحقد والجبة وحسن المراجعة ومع هذا كله فلا يرضون عنا هؤلاء الانس حتي يدعوا بأننا عبيد لهم وهم موال وارباب لنا بغير حجة ولا برهان غير قول الزور والبهتان والله تعالى هو المستعان .

في بيان حسن طاعة الجن لرؤسائهم وملوكهم

ثم قال اليعسوب لملك الجن : كيف حسن طاعة الجن لرؤسائهم وملوكهم ؟ قال : تكون احسن الرعايا طاعة واطوع انقيادا لأمرهم ونهيهم قال اليعسوب ليتفضل الملك ويذكر منها شيئا . قال نعم اعلم ان في الجن اخيارا واشرارا مسلمين وكفارا وابرارا وفجارا كما يكون في الناس من بني آدم ، واما حسن طاعة الاخيار منهم لرؤسائهم وملوكهم ففوق الوصف مما لا يعرفه اكثر الناس من بني آدم لان طاعتهم لرؤسائهم وملوكهم كطاعة الكواكب في الفلك للنير الاعظم الذي هو الشمس وذلك ان الشمس في الفلك كالملك وسائر الكواكب كالجنود والاعوان والرعية فنسبة المريخ من الشمس كنسبة صاحب الجيش من الملك والمشترى كالقاضى وزحل كالخازن وعطارد كالوزير والزهرة كالحرم والقمر كولى العهد وسائر الكواكب كالجنود والاعوان والرعية ، وذلك انها كلها مربوطة بفلك الشمس تسير بسيرها فى استقامتها ورجوعها ووقوفها واتصالاتها وانصرافها كل ذلك بحساب لا يجاوز رسومها ولا يتعدى حدودها وجريان عاداتها في شروقها وغروبها وجميع احوالها ومتصرفاتها لا ترى منها معصية ولا خلافا .

قال اليعسوب لملك الجن : ومن اين للكواكب حسن هذه الطاعة والانقياد والنظام والترتب لملكها ؟ قال . من الملائكة الذين هم جنود رب العالمين . قال : صف حسن طاعة الملائكة لرب

العالمين . قال : كطاعة الحواس الخمس للنفس الناطقة لاتحتاج الى تهذيب ولا تأديب . قال : زدني بيانًا . قال نعم . ألا ترى ايها الحكيم ان الحواس الخمس في ادراك محسوساتها وايرادها اخبار مدركاتها الى النفس الناطقة لاتحتاج الى امر ولا نهي ولا وعد ولا وعيد بل كلما همت النفس الناطقة بأمر محسوس امتثلت الحاسة لما همت به النفس وادركته واوردته اليها بلا زمان ولا تأخر ولا ابطاء ؟. وهكذا طاعة الملائكة لرب العالمين الذين « لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون مايؤمرون » منه الذى هو رئيس لرؤساء وملك الملوك ورب الارباب ومدبر الكل وخالق الجميع وأحكم الحاكمين وارحم الراحمين . واما الاشرار والكفار والفساق من الجن فانهم احسن طاعة لرؤسائهم واطوع انقيادا لملوكهم من اشرار الانس وفجارهم وفساقهم . والدليل على ذلك حسن طاعة مردة الجن والشياطين لسليمان بن داود لما سخرت له فيما كان يكلفها من الاعمال الشاقة والصنائع المتعبة « يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجوابي وقدور راسيات . » ومن الدليل ايضاً على حسن طاعة الجن لرؤسائهم ماقد عرفه بعض الانس الذين يسافرون فى المفاوز والفلوات . أن أحدهم اذا نزل بواد يخاف فيه من الجن و يسمع دويهم وزجلاتهم فيستعيذ برؤسائهم وملوكهم ويقرأ آية او كلمة مما في التوراة او في الانجيل او فى القرآن و يستجير بهم منهم ومن تعريضهم او أذيتهم فانهم لا يتعرضون له مادام في مكانه

ومن حسن طاعة الجن لرؤسائهم انهم اذا تعرض لحد من مردة الجن باحد من بني آدم بخبل أو فزعة أو تخبط أو لم فيشتعيذ المعزم من بني آدم برئيس قبيلة الجن أو ملكهم أو جنوده فانهم يعينونه و يجيرونه اليهم و يمتثلون مايأمرهم به و ينهاهم عنه فى حق صاحبهم . ومن الدليل أيضاً على حسن طاعة الجن وسهولة انقيادهم وسرعة اجابتهم للداعى لها اجابة نفر من الجن لمحمد صلى الله عليه وسلم فى ساعة اجتازوا به وهو يقرأ القرآن فوقفوا عليه واستمعوه وأجابوه وولوا الي قومهم منذرين كما هو مذكور في القرآن من قصتهم فى نحو من عشرين آية . وهذه الآيات والدلالات والعلامات دالة على حسن طباعهم وسهولة طاعتهم وسرعة انقيادهم وأجابتهم لمن يدعوهم و يستعين بهم خيرا كان أو شرا

فاما طباع الانس وجبلتهم فبالضد مما ذكرت وذلك ان طاعتهم لرؤسائهم وملوكهم أكثرها خداع ونفاق وغرور وطلب للعوض والارزاق والمكافأة والخلع والمبرات والكرامات. فان لم يروا مايطلبون أظهروا المعصية والخلاف وخلع الطاعة والخروج من الجماعة والعداوة والحرب والقتال والفساد في الارض وهكذا حكمهم مع أنبيائهم ورسل ربهم فتارة انكروا دعوتهم بالجحود . وانكار الضروريات وجحد العيان أو الطلب منه المعجزات بالعناد وتارة بالاجابة والنفاق والشك والارتياب والمكر والدغل والغش والخيانة في السر والجهر. كل ذلك لغلظ طباعهم وعسر قبولهم وصعوبة انقيادهم ورداءة جبلتهم

وسوء عاداتهم وسيئات أعمالهم وتراكم جهالتهم وعمي قلوبهم . ثم لايرضون حتي زعموا انهم أرباب وغيرهم عبيد لهم بغير حجة ولا برهان

فلما رأت الجماعة من الانس طول مخاطبة ملك الجن لليعسوب زعيم الحشرات تعجبت وانكرت وقالت خص الملك زعيم الحشرات بكرامة ومنزلة لم يخص بها احدا من زعماء الطوائف في هذا المجلس فقال لهم حكيم من حكماء الجن : لاتنكروا ذلك ولا تتعجبوا منه فان اليعسوب وان كان صغير الجثة . لطيف المنظر خفيف البنية ضعيف الصورة فانه عظيم المخبر جيد الجوهر ذكي النفس كثير النفع مبارك الناصية محكم الصنعة وهو رئيس من رؤساء الحشرات وخطيبها وملكها والملوك يخاطبون مع من كان من ابناء جنسهم في الملك والرئاسة وأن كان مخالفاً لهم في الصورة ومباينا لهم في المملكة ولا تظنوا ان ملك الجن العادل الحكيم يميل في الحكومة الى احد من الطوائف دون غيرها لهوى غالب أو طبع مشاكل أو ميل بسبب من الاسباب أو علة من العلل

فلما فرغ حكيم الجن من الكلام نظر الملك الى الجماعة الحضور وقال : قد سمعتم معشر الانس أمر شكاية هذه البهائم من جوركم وظلمكم وقد سمعنا ادعاءكم عليها الرق والعبودية وهي تأبي ذلك وتجحد وتطالبكم بالدليل والحجة على دعواكم فاوردتم ماذكرتم وسمعنا جوابها اياكم ، فهل عندكم شيء آخر غير ماذكرتم بالامس ؟ فهاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ليكون لكم حجة عليهم .

فلما سمع النـاس جميع ماقال ملك الجن فى حقهم قام زعيم من رؤساء الروم فخطب وقال : الحمدلله الحنان المنان ذي الجود والاحسان والعفو والغـفران الذى خلق الانسان وألهمه العـلوم والبيان وأراه الدليل والبرهان وأعطاه العز والسلطان وعلمه تصاريف الدهور وتقلب الازمان وسخر له النبات والحيوان وعرفه منافع المعادن والاركان . ثم قال : نعم أيها الملك لنا خصال محمودة ومناقب جمة تدل على ماقلنا وذكرنا . قال الملك : ماهي ؟ قال الرومي : كثرة عـلومنا وفنون معارفنا ودقة تميزنا وجودة فكرنا ورويتنا وحسن تدبيرنا وسياستنا وعجيب متصرفاتنا فى مصالح معائشنا وتعاوننا في الصنائع والتجارات والحرف فى أمور دنيانا وأخرانا . كل ذلك دليل على ماقلنا انا أرباب لهم وهم عبيد لنا . فقال الملك للجماعـة الحضور من الحيوانات : ماتقولون فيما استدل على ما ادعي عليكم من الربوبية والتملك : فأطرقت الجماعة ساعة مفكرة فيما ذكر الانسي من فضائل بني آدم وما أعطاهم الله من جزيل المواهب التى خصهم بها من بين سائر الحيوانات .

ثم تكلم النحل زعيم الحشرات وقام خطيباً فقال : الحمـد لله الواحد الاحـد فاطر السموات وخالق المخلوقات ومـدبر الاوقات ومنزل القطر والبركات ومنبت العشب في الفلوات ومخرج الزهر من النبات وقاسم الارزاق والاقوات نسبحه في سراحنا بالغدوات ونحمده في رواحنا بالعشيات بمـا علمنا من الصـلوات والتحيات كما قال عز وجل : « وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم » .

أما بعد أيها الملك الحكيم ان هذا الانسي يزعم بأن له علوما ومعارف وروية وتدبيرا وسياسة تدل انهم أرباب لنا ونحن عبيد لهم فلو انهم فكروا لبان لهم من أمرنا ولعرفوا من تصاريف حالاتنا وتعاوننا فى اصلاح شأننا أن لنا علما وفهما ومعرفة وتمييزا وفكرا وروية وتدبيرا وسياسة أدق وأحكم وأتقن مما لهم . ذلك اجتماع جماعة النحل في قراها وتمليكها عليها رئيسا واحدا واتخاذ ذلك الرئيس أعوانا وجنودا ورعية وكيفية مراعاتها وسياساتها وكيفية اتخاذها المنازل والقرى والبيوت المسدسات المتجاورات المكتنفات من غير فرجار ومعرفة بعلم الهندسة كأنها أنابيب مجوفة ثم كيفية ترتيبها البوابين والحجاب والحراس والمحتسبين وكيف تذهب فى الرعي أيام الربيع والليالى القمراء في الصيف وكيف تجمع الشمس بارجلها من ورق النبات والعسل بمشافرها من زهر النبات والشجر ثم كيف تخزنها فى بعض البيوت وتنام فيها أيام الشتاء والبرد والرياح والامطار وكيف تقوت من ذلك العسل المخزون أنفسها وأولادها يوما بيوم لا اسرافا ولا تقتيرا الي أن تنقضي أيام الشتاء ويجيء الربيع وينبت العشب ويطيب الزمان ويخرج النبت والزهر والنور كيف ترعى كما كانت عاما أول وذلك دأبها من غير تعلم من الاستاذين ولا تأديب من المعلمين ولا تلقين من الاباء والامهات ولكن تعليما من الله عز وجل لها ووحيا والهاما وانعاما وتكرما وتفضلا عليها ، وأنتم يامعشر الانس لو تدعون علينا بالرقية وأنتم موالينا فلم ترغبون فى فضائلنا وتفرحون عند

وجدانا وتستشفون عند تناول ذلك ؟ فمن عادة الملوك والارباب أن لاتحرص ولا ترغب في فضالة الخدم والخول وأيضاً أنتم تحتاجون لنا ونحن مستغنون عنكم فليس لكم سبيل الى هذه الدعوى . واعلم أيها الملك لوعلم هذا الانسي من حال هذا النمل كيف تتخذ القرى تحت الارض ومنازل و بيوتاً وأوروقة ودهاليز وغرفاً ذوات طبقات منعطفات وكيف تملأ بعضها حبوباً وذخائر وقوتاً للشتاء وكيف تجعل بعض بيوتها منخفضاً مصوباً تجرى اليها المياه و بعضها حولها مرتفعاً كي لايجرى اليها ماء المطر وكيف تخبأ الحب والقوت في بيوت منعطفات الى فوق حذرا عليها من ماء المطر واذا ابتل منها شيء كيف تنشره أيام الصحو وكيف تقطع حب الحنطة نصفين وكيف تقشر الشعير والباقلي والعدس لعلها بأنها لاتنبت الا مع القشر وكيف تقطع حبة الكزبرة نصفين ثم تقطع كل نصف منها أيضاً نصفين لعلمها بأن نصفها أيضاً ينبت وتراها كيف تعمل أيام الصيف ليلا ونهارا باتخاذ البيوت وجمع الذخائر وكيف تتصرف في الطلب يوماً يسرة القرية ويوماً يمنتها ثم كأنها قوافل ذاهبين وجائين وأنها اذا ذهبت واحدة منها فوجدت شيئاً لاتقدر علي حمله أخذت منه قدرا وذهبت راجعة مخبرة للباقين وكلما استقبلتها واحدة أخذت شيئاً منها مما في يدها ليدلها على ذلك الشيء ثم ترى كل واحدة منها على ذلك الطريق الذى جاءت هي من هناك ثم كيف يجتمع على ذلك الشيء جماعة منها وكيف يحملونه ويجرونه بجهد وعناء في المعاونة فاذا

علمت بأن واحدة منها توانت في الحمل أو تكاسلت في المعاونة اجتمعت على قتلها ورمت بها عبرة لغيرها فلو تفكر هذا الانسى فى أمرها واعتبر أحوالها لعلم بأن لها علماً وفهماً وتمييزا ومعرفة ودراية وتدبيرا وسياسة مثل مالهم ولما افتخروا علينا بما ذكروا .

وأيضاً أيها الملك لو فكر الانسي في أمر الجراد انها اذا سمنت أيام الرعي فى الربيع كيف تطلب أرضاً طيبة التربة رخوة الحفر وكيف نزلت هناك وحفرت بأرجلها ومخالبها وأدخلت أذنابها في تلك الحفرة وطرحت فيها بيضاً ودفنتها ثم طاردت وعاشت أياماً ثم اذا جاء وقت موتها أكلها الطيور وماتت ما بقيت وهلكت من حر او برد او ريح أومطر وفنيت ثم اذا دار الحول وجاءت أيام الربيع واعتدل الزمان وطاب الهواء كيف نشأت من تلك البيضة المدفونة في الارض مثل الديدان الصغار ودبت على وجه الارض وأكلت العشب والكلأ وخرجت لها أجنحة فطارت وأكلت من ورق الشجر وسمنت وباضت مثل العام الاول وذلك دأبها من تقدير العزيز العليم لعلم هذا الانسي ان لها علما ومعرفة .

وهكذا أيضاً لو تفكر هذا الانسي أيها الملك في دود القز التي تكون على رؤوس الاشجار في الجبال خاصة شجر الغضا والتوت فانها اذا شبعت من الرعي أيام الربيع وسمنت أخذت تنسج على نفسها من لعابها في رؤوس الاشجار شبه العش لها والكن ثم تنام فيها أياما معلومة فاذا انتبهت طرحت بيضاً في داخل الكن الذى نسجت علي

نفسها ثم ثقبتها وخرجت منها وسدت تلك الثقب وخرجت لها أجنحة وطارت فتأكلها الطيور أوتموت من الحر والبرد أوالمطر ويبقى ذلك البيض في تلك الحرزات محروزا أيام الصيف والخريف والشتاء من الحر والرياح والامطار الى ان يحول الحول وتجئ أيام الربيع ويحضن ذلك البيض في الحرزات ويخرج من تلك الثقب مثل الديدان الصغار وتدب على ورق الاشجار أياما معلومة فاذا شبعت وسمنت أخذت تنسج على نفسها من لعابها مثل العام الاول وذلك دأبها وهو تقدير العزيز العليم الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى الى أمور مصالحها ومنافعها

وأما الزنانير الصفر والحمر والسود فانها تبني أيضاً منازل وبيوتا فى السقوف والحيطان وبين أغصان الشجر مثل فعل النحل وتبيض وتحضن وتفرخ ولكنها لاتجمع القوت للشتاء ولا تدخر للغد شيئاً ولكن تتقوت يوما بيوم ماطاب لها الوقت . واذا أحست بتغير الزمان وهو الشتاء ذهبت الى الاغوار والمواضع الدفينة . ومنها ماتدخل في ثقب الحيطان والمواضع الخفية وتموت فيها وتبقى جثتها طول أيام الشتاء يابسة لاتتبدد أجزاؤها ولا تعاني مقاساة البرد والرياح والمطر فاذا انقضى الشتاء وجاء الربيع واعتدل الزمان وطاب الهواء نفخ الله تعالى فيما سلم من تلك الجثث روح الحياة فعاشت وبنت البيوت وباضت وحضنت وخرجت أولادها مثل العام الاول وذلك دأبها أبدا تقديرا من العزيز الحكيم .

وكل هذه الانواع من الحشرات والهوام تبيض وتحضن وتربي أولادها بعلم ومعرفة ودراية وشفقة ورحمة وتحنن ورفق ولطف ولا تطلب من أولادها البر والمكافأة ولا الجزاء ولا الشكر. وأما أكثر الانس فيريدون من أولادهم برا وصلة ورحمة ويمنون عليهم في تربيتهم اياهم . فأين هذا من المروءة والكرم والسخاء الذى هو من شيم الاحرار والكرام وأرباب الفضل فبماذا يفتخر علينا هؤلاء الانس !

ثم قال زعيم النحل : أما الذباب والبق والبراغيث والديدان وما شاكلها من أبناء جنسها فانها لا تبيض ولا تحضن ولا تلد ولا ترضع ولا تربي أولادها ولا تبني البيوت ولا تدخر القوت ولا تتخذ الكن بل تقطع أيام حياتها مرفهة مستريحة مما يقاسي غيرها من برد الشتاء والرياح والامطار وحوادث الزمان . فاذا تغير عليها الزمان واضطرب الكيان وتغالبت طبائع الاركان أسلمت أنفسها للنوائب والحدثان وانقادت لعلمها يقينا بالمعاد وأن الله منشئها ومعيدها في العام القابل كما أنشأها أول مرة ولا تقول ولا تنكر كما أنكر وقال الانسي : « أئنا لمردودون فى الحافرة أئذا كنا عظاما نخرة قالوا تلك اذا كرة خاسرة فانما هى زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة » ولو اعتبر هذا الانسي أيها الملك بما ذكرت من هذه الاشياء من تصاريف أمور هذه الحشرات والهوام لعلم وتبين له أن لها علما وفهما ومعرفة وتمييزا ودراية وفكرا وروية وسياسة كل ذلك عناية من البارى عز وجل ولما افتخر علينا بما ذكر انهم أرباب لنا ونحن عبيد لهم . أقول قولى هذا

وأستغفر الله لى ولكم .

ولما فرغ حكيم النحل وزعيم الحشرات من كلامه قال له ملك الجن بارك الله فيك من حكيم ما أعلمك ، ومن خطيب ما أفصحك ومن مبين ما أبلغك . ثم قال الملك : يامعشر الانس قدسمعتم ماقال؟ وفهمتم ما أجاب فهل عندكم شيء آخر؟ — فقام انسي آخر اعرابي فقال: نعم أيها الملك لنا خصال محمودة ومناقب شتي تدل على انا أرباب وهم عبيد لنا . فقال الملك : هات اذكر منها شيئاً — قال طيب حياتنا ولذيذ عيشنا وطيبات مأكولاتنا من ألوان الطعام والشراب والملاذ مالا يحصي عددها الا الله عزوجل مما ليس لهؤلاء الحيوانات معنا شركة فيها بل هي بمعزل عنها . وذلك ان طعامنا لب الثمار ولها قشورها ونواها وحطبها . ولنا لب الحبوب ولها تبنها وورقها ، ولنا شيرجها ودبسها ولها كسبها وخبثها ، ولنا بعد ذلك ألوان الطعام مما نتخذها من ألوان الخبز والرغفان والاقراص ومن السميذ والجوذابات وألوان الشوى والحلاوى من الخبيص والقطائف والعصائد واللوزينج ولنا بعد ذلك ألوان الاشربة من الخمر والنبيذ القارص والفقاع والسليماني والجلاب وألوان الالبان من الحليب والرايب والمخيض والسمن والزبد والجبن والكشك والمصلي وما يعمل منها من ألوان الطبيخ والملاذ والطيبات من المشتهيات ، ولنا مجالس اللهو واللعب والفرح والسرور والاعراس والولائم والرقص والحكايات والمطايبات والتهاني والتحيات والمدح والثناء ، ولنا الحلي والحلل والتيجان وسائر

الملبوسات والاسورة والدماليج والخلاخيل والفرش المرفوعة والاكواب الموضوعة والنمارق المصفوفة وزرابي مبثوثة والارائك المتقابلة والوسائد اللينة وما شاكل ذلك مما لا يحصي عددها وكل ذلك هي بمعزل عنها : فخشونة طعامهم وغلظها وجفافها وقلة الرائحة الطيبة منها وقلة دسومتها وحلاوتها ونعومتها وانعدام سائر المذكورات عندها دليل على قلة الحرمة لان هذه حال العبيد الاشقياء وتلك حال أرباب النعم الاحرار والكرام ، وكل هذا دليل على انا أرباب وهم عبيد لنا . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

فنطق عند ذلك زعيم الطيور وهو الهزار وكان قاعدا هناك على غصن شجرة يترنم فقال : الحمد لله الواحد الاحد الفرد الصمد الدائم السرمد بلا شريك ولا ولد بل هو مبدع المبدعات وخالق المخلوقات وعلة الموجودات وسبب الكائنات من الجماد والنبات وبارىء البريات ومركب الشهوات ومولد اللذات كيف شاء واراد . — اما بعد اعلم ايها الملك أن هذا الانسي افتخر علينا بطيب مأكولاتهم ولذيذ مشروباتهم ولا يدري ان تلك كلها عقوبات لهم واسباب للشقاء وعذاب أليم . قال الملك : وكيف ذلك ؟ بين لنا : قال نعم وذاك لانهم يجمعون ذلك ويصلحونه بكد أبدانهم وعناء نفوسهم وجهد ارواحهم وتعرق جبينهم وما يلقون في ذلك من الهوان والشقاء مما لا يعد ولا يحصي من كد الحرث والزرع واثارة الارض وحفر الانهار والقنا وسد البثوق وعمل البرك والآبار ونصب الدواليب

وجـذب الغروب والسقي والحفظ والحصاد والحمل والجمع والدياس والبيدر والكيل والقسمة والوزن والطحن والعجن والخبز و بناء التنور ونصب القدور وجمع الحطب والاشجار والشوك والسرقين وايقاد النيران ومقاساة الدخان وسد المنافذ ومماكسة القصاب ومحاسبة البقال والجهد والعناء في اكتساب المال من الدراهم والدنانير وتعليم الصنائع المتعبة للابدان والاعمال الشاقة على النفوس والمحاسبات في التجارات والذهاب والمجيء في الاسفار البعيدة في طلب الامتعة والحوائج والادخار والاحتكار والانفاق بالتقتير مع مقاساة الشح والبخل ، فان كان جمعها من حلال وانفاقها في وجه الحلال فلا بد من الحساب ، وان كان من غير حل وفي غير وجه الله فالويل والعذاب . ونحن بمعزل عن هذه كلها وذلك أن طعامنا وغذاءنا هي مايخرج لنا من الارض من أمطار السماء من ألوان البقول الرطبة الخضرة النضرة اللينة والحشائش والعشب ومن ألوان الحبوب اللطيفة المكنونة في علفها وسنبلها وقشرها ومن ألوان الثمار المختلفة الاشكال والالوان والروائح الزكية والاوراق الخضرة النضرة والازهار والرياحين في الرياض تخرجها الارض لنا حالا بعد حال وسنة بعد سنة بلا كد من أبداننا ولا عناء من نفوسنا ولا تعب لارواحنا ولا نحتاج الى كد الحرث ولا عناء سقي ولا حصاد ولا دياص ولا طحن ولا خبز ولا طبخ ولا شيء وهذه علامة الاحرار الكرام . وأيضاً اذا أكلنا قوتنا يوماً بيوم وتركنا مايفضل عنا مكانه ولا نحتاج الى حفظ ولا ناطور ولا

حارس ولا خازن ولا ادخار الى وقت آخر بلا خوف لص ولا قاطع طريق ننام في أماكننا وأوطاننا وأوكارنا بلا أبواب مغلقة ولا حصون مبنية آمنين مطمئنين غير مروعين مستريحين وهذه علامة الاحرار الكرام وهم بمعزل عنها . وأيضاً ان لهم بدل كل لذة من فنون مأكولاتهم وألوان مشروباتهم فنوناً من العقوبات وألواناً من العذاب مما نحن بمعزل عنها من الامراض المختلفة والعلل المزمنة والاسقام المهلكة والحميات المحرقة من الغب والثانية والمليلة المثلثة والربع وكذلك التخم والجشاء المتغير الحامض والهيضة والقولنج والنقرس والبرسام والسرسام والطاعون واليرقان والدبيلات والسل والجذام والجدري والثآليل والدماميل والخنازير والحصبة والجراحات وأصناف الاروام مما يحتاج فيها الى عذاب من الكي والبط والحقنة والسعوط والحجامة والفصد وشرب الادوية المسهلة الكريهة الرائحة البشعة ومقاساة الحمية وترك الشهوات المركوزة في الجبلة وما شاكل هذه من ألوان العذاب والعقوبات المؤلمة للابدان والارواح والاجساد : كل ذلك أصابكم لما عصيتم ربكم وتركتم طاعته ونسيتم وصيته ونحن بمعزل عن هذه كلها . فمن أين زعمتم انكم أرباب ونحن عبيد لولا الوقاحة والمكابرة وقلة الحياء ؟

فلما فرغ الهزار من كلامه قال الانسي : قد يصيبكم معاشر الحيوان من الامراض مثل ما يصيبنا ليس هو بشيء يخصنا دونكم . قال زعيم الطيور : انما يصيب ذلك من يخالطكم منا من الحمام والديكة

والدجج والكلاب والسنانير والجوارح والبهائم والانعام أومن هو أسير في أيديكم ممنوع عن التصرف برأيه في أمور مصالحه . فأما من كان منا مخلي برأيه وتدبيره في أمر مصالحه وسياسته ورياضته لنفسه فقل مايعرض له من الامراض والاوجاع . وذلك انها لاتأكل ولا تشرب الاوقت الحاجة بمقدار ماينبغي من لون واحد قدرمايسكن ألم الجوع ثم يستريح وينام ويروض ويمتنع من الافراط والحركة والسكون في الشمس الحارة أوفي الظلال الباردة أوالسكون في البلدان غيرالموافقة أو أكل المأكولات غيرالملائمة لمزاجها. فاما التي تخالطكم من الحيوانات ومن الكلاب والسنانير ومن هو أسير في أيديكم من البهائم والانعام ممنوعة من التصرف برأيها في مصالحها في أوقات مايدعوها طباعها المركوزة في جبلتها وتطعم وتسقي في غير وقته أوغير مايشتهي أو من شدة الجوع والعطش تأكل أكثر من مقدار الحاجة ولاتترك أن تروض نفسها كما يجب بل تستخدم وتتعب أبدانها فيعرض لها بعض الأمراض من نحو مايعرض لكم وهكذا حكم أمراض أطفالكم وأوجاعهم وذلك أن الحوامل من نسائكم وجواريكم والمرضعات يأكلن ويشربن بشرههن وحرصهن أكثر مما ينبغي أو غير ماينبغي من ألوان الطعام والشراب التي ذكرت وافتخرت بها فيتولد في ابدانهن من ذلك اخلاط غليظة متضادة الطباع ويؤثر في أبدان الاجنة التي في بطونهن وفي أبدان أطفالهن من ذلك اللبن الردىء ويصير سبباً للأمراض والاعلال والاوجاع من الفالج واللقوة والزمانة واضطراب البنية

وتشويه الخلق وسماجة الصورة وما ذكرت من اختلاف الأمراض والاوجاع مما أنتم مرتهنون بها معترضون لها وما يعقبها من موت الفجأة وشدة النزع وما يعرض لكم من ذلك من الغم والحزن والنوح والبكاء والصراخ والمصائب، كل ذلك عقوبة لكم وعذاب لأنفسكم من سوء أعمالكم ورداءة اختياراتكم ونحن بمعزل عن هذه كلها. وشيء آخر ذهب عنكم أيها الانسي تأمله فانظر فيه. — قال: ماهو؟ قال: ان أطيب ماتأكلون وألذ ما تشربون وأنفع ماتداوون به هو العسل وهو لعاب النحل وليس منكم وهو من الحشرات، فبأى شيء تفتخرون؟ وأما أكل الثمار ولب الحبوب فنحن مشاركون لكم فيها عند ادراكها رطبة و يابسة، فبأى شيء تفتخرون به علينا وقد كان آباؤنا مشاركين فيها لآبائكم بالسوية؟ وأيضاً في الايام التي كانا في ذلك البستان الذى بالمشرق على رأس ذلك الجبل الذى نحن وأنتم تعلمون ذلك، كانا يأكلان من تلك الثمار بلا كد ولا تعب ولا عناء ولا نصب ولا عداوة بينهما ولا حسد ولا استتار ولا ادخار ولا حرص ولا بخل ولا خوف ولا فزع ولا هم ولا غم ولا حزن حتى تركا وصية ربهما واغترا بقول عدوهما وعصيا ربهما وأخرجا من هناك عريانين مطرودين ورميا من رأس الجبل الى أسفله فوقعا فى برية قفرة حيث لا ماء ولا شجر ولا كن فبقيا فيه جائعين عريانين يبكيان على ما نالهما من الغم وما فاتهما من النعم التى كانا فيها هناك ثم ان رحمة الله تعالى تداركتهما فتاب عليهما

وأرسل من هناك ملكا علمهما الحرث والحصاد والدياس والطحن والخبز واتخاذ اللباس من حشيش الارض من القطن والكتان والقصب بعناء وتعب وجهد ونصب وشقاء لايحصي عددها مما قد ذكرنا طرفاً منها قبل. فلما توالدا وكثرت أولادهما انتشروا في الارض برا وبحرا وسهلا وجبلا. وضيقوا على سكان الارض من أصناف هذه الحيوانات أماكنها وغلبوا على أوطانها واخذوا منها ماأخذوا وأسروا منها ماأسروا وهرب منها ماهرب وطلبوها أشد الطلب واشتد بغيهم عليها وطغيانهم حتي بلغ الامر الى هذه الغاية التي أنتم عليها الآن من الافتخار والمنازعة والمناظرة والمحاجة. واما الذى ذكرت بأن لكم من مجالس اللهو واللعب والفرح والسرور ماليس لنا من الاعراس والولائم والرقص والحكايات والمضاحك والتحيات والتهاني والمدح والثناء ولكم الحلي والتيجان والاسورة والخلاخيل والدماليج وما شاكلها مما نحن بمعزل عنها فان لكم أيضاً بدل كل خصلة منها ضروباً من العقوبات وفنوناً من المصيبات وعذاباً أليما مما نحن بمعزل عنها: فمن ذلك ان لكم بازاء الاعراس المآتم وبدل التهنئات التعازى وبدل الغناء والالحان النوح والصرايخ. وبدل الضحك البكاء. وبدل الفرح والسرور الغم والحزن. وبدل المجالس في الايوانات العالية المضيئة القبور المظلمة والتوابيت الضيقة وبدل الصحون الواسعة الحبوس والمطامير الضيقة المظلمة. وبدل الرقص والنشاط والدستبند السياط والضرب والعقابيل وبدل الحلي

والتيجان والخلاخيل والاسورة القيود والاغلال والمسامير . وبدل المدح والثناء الشتم والهجاء وما شاكل ذلك . وبدل كل حسنة سيئة . وبدل كل لذة ألماً . وبدل كل فرح غماً وحزناً ومصيبة مما نحن بمعزل عنها وهذه كلها من علامات العبيد الاشقياء ، وان لنا عوض مجالسكم وايواناتكم وصحونكم وميادينكم هذا الفضاء الفسيح وهو الجو الواسع والرياض الخضرة على شواطىء الانهار وسواحل البلدان والطيران على رؤوس البساتين والتحلق على رؤوس الاشجار نسرح ونروح حيث نشاء فى بلاد الله الواسعة ونأكل من رزق الله الحلال من غير تعب وكد من ألوان الحبوب والثمار ونشرب من مياه الغدران والانهار بلا مانع ولا دافع ولا نحتاج الى حبل ودلو ولا كوز ولا قربة مما أنتم مبتلون بها من حملها وأصلاحها وبيعها وشرائها وجمع أثمانها بكد وتعب ونصب ومشقة في الابدان وعناء النفوس وغموم القلوب وهموم الارواح ركل ذلك من علامات العبيد الاشقياء فمن أين يتبين لكم انكم أرباب ونحن عبيد لكم

ثم قال الملك لزعيم الانس : قد سمعت الجواب فهل عندك شيء آخر ؟ قال نعم لنا فضائل أخر ومناقب حسان تدل على انا أرباب وهؤلاء عبيد لنا . قال فما هو ؟ أذكره . قال نعم . فقام رجل من أهل الشام عبراني فقال : الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين . ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم الذى

أكرمنا بالوحي والنبوات والكتب المنزلات والآيات المحكمات وما فيها من أنواع الحلال والحرام والحدود والاحكام والاوامر والنواهي والترغيب والترهيب من الوعد والوعيد والمدح والثناء والمواعظ والتذكار والاخبار والامثال والاعتبار وقصص الاولين وأخبار الآخرين وصفات يوم الدين وما وعدنا من الجنان والنعيم وما أكرمنا أيضاً من الغسل والطهارة والصوم والصلوات والصدقات والزكوات والاعياد والجمعات والذهاب الى بيوت العبادات من المساجد والبيع والكنائس ولنا المنابر والخطب والآذان والنواقيس ولنا البوقات والشبورات والاقامات والاحرام والتلبية والمناسك وما شاكلها وكل ذلك دليل على انا أرباب وأنتم عبيد.

قال زعيم الطير: لو فكرت أيها الانسي واعتبرت ونظرت لعلمت وتبين لك ان هذه كلها عليكم لا لكم: قال الملك: كيف ذلك بينه لنا — قال: لأنها عذاب وعقوبات وغفران للذنوب ومحو للسيئات ونهي عن الفحشاء والمنكر كما ذكر الله عز وجل فقال: «ان الصلوة تنهي عن الفحشاء والمنكر» وقال: «ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صوموا تصحوا» فلولا أنكم معاشر الانس تشتغلون بهذه القواعد الشرعية لضربت أعناقكم فانتم عن مخافة السيف تشتغلون بذلك ونحن براء من الذنوب والسيئات والفحشاء والمنكر فلم نحتج الى شيء مما ذكرت وافتخرت. واعلم أيها الانسي ان الله

تعالى لم يبعث رسله وأنبياءه الا الى الامم الكافرة والعامة الجاهلة من المشركين والمنكرين لربوبية الصانع الجاحدين لوحدانيته والمدعين معه الهًا آخر المغيرين أحكامه والعاصين أوامره والهاربين من طاعته والجاهلين احسانه والغافلين عن ذكره والناسين عهده وميثاقه والضالين المضلين الغاوين الذين يضلون عن الصراط المستقيم ونحن براء من هؤلاء كلهم عارفون بربنا مؤمنون به مسلمون موحدون غير شاكين ولا ممترين . واعلم أيها الانسي بأن الانبياء والرسل هم أطباء النفوس ومنجموها ولا يحتاج الى الطبيب الا المرضى ولا يحتاج الى المنجمين الا المنحوسون المخاذيل الاشقياء . واعلم أيها الانسي ان الغسل والطهارات انما فرضت عليكم من أجل ما يعرض لكم عند الجماع من الشهوة والبغاء والسحق ومن البخر ورائحة العرق لاستكثارها واستعمالها ليلا ونهارا غدوا ورواحا ضحوة وبكرة ونحن بمعزل عنها لا نهيج ولا نسفد الا في السنة مرة واحدة لا لشهوة غالبة ولا للذة داعية ولكن لبقاء النسل .

وأما الصلاة والصوم فانما فرضا عليكم ليكفرا من سيئاتكم من الغيبة والنميمة والقبيح من الكلام واللعب واللهو والهذيان ونحن براء من هذه كلها وبمعزل عنها فلم يجب علينا الصوم والصلاة وفنون العبادات وانما الصدقات والزكوات فرضت عليكم من أجل ما تجمعون من فنون الاموال وفضولها من الحلال والحرام والغصب والسرقة واللصوصة والبخس في الكيل والوزن وكثرة الجمع والذخائر

والامساك عن النفقة فى الواجبات والبخل والشح والاحتكار ومنع الحقوق . تجمعون مالاتأكلون وتكنزون مالاتحتاجون اليه فلو انكم تنفقون مما فضل عنكم على فقرائكم وضعفائكم وأبناء جنسكم لما وجبت عليكم الصدقات والزكوات ونحن بمعزل عنها لانا مشفقون على أبناء جنسنا ولا نبخل بشيء مما وجدنا من الارزاق ولا ندخر مما فضل عنا، تغدو جائعين خماصاً متكلين على الله تعالى ونرجع شبعانين بطاناً شاكرين لله.

وأما الذى ذكرت ان لكم في الكتب المنزلة آيات محكمات مبينات للحلال والحرام والحدود والاحكام فكل ذلك تعليم لكم وتأديب لجهالتكم . ولقلة معرفتكم بالمنافع والمضار تحتاجون الى المعلمين والاستاذين والمذكرين والواعظين لكثرة غفلاتكم وسهوكم ونسيانكم ونحن قد ألهمنا جميع ما نحتاج اليه من أول الامر الهاماً من الله تعالى لنا بلا واسطة من الرسل ولا نداء من وراء الحجاب كما ذكر الله عز وجل بقوله : « وأوحي ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً » وقال : « كل قد علم صلاته وتسبيحه » وقال : « فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه قال ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة أخي فاصبح من النادمين » فمن عمي قلبه وغلبت جهالته لايكون نادما علي ذنبه وخطيئته فافهم هذه الاشارات الخفية والاسرار الالهية .

وأما الذى ذكرت بأن لكم أعيادا وجمعات وذهابا الي بيوت

العبادات وليس لناشيء من ذلك فلاننا لم نحتج اليها لان الاماكن كلها لنا مساجد والجهات كلها قبلة ، أينما توجهنا فثم وجه الله ، والايام كلها لنا جمعة وعيد والحركات كلها لنا صلوات وتسبيح فلم نحتج الى شيء مما ذكرت وافتخرت

فلما فرغ زعيم الطير من كلامه نظر الملك الى جماعة الانس الحضور فقال : قد سمعتم ماقال وفهمتم ماذكر فهل عندكم شيء آخر ؟ اذكروه وبينوه . فقام العراقي فقال : الحمد لله خالق الخلق وباسط الرزق ومسبغ النعماء ومولى الآلاء الذى أكرمنا وأنعم علينا وحملنا في البر والبحر « وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلا » . نعم أيها الملك لنا خصال أخر ومناقب ومواهب تدل على انا أرباب لهم وهم عبيد لنا . فمن ذلك حسن لباسنا وستر عوراتنا ووطأ فرشنا ونعومة دثارنا ودفء غطائنا ومحاسن زينتنا من الحرير والديباج والخز والقز والفرند والقطن والكتان والسمور والسنجاب وألوان الفرو والاكسية والبسط والانطاع والمخدات والفرش من اللبود والبزيون وماشا كلها مما لا يعد كثرته : كل هذه المواهب دليل على ماقلنا بانا أرباب وهم لنا عبيد . وخشونة لباسها وغلظ جلودها وسماجة دثارها وكشف عوراتها دليل على انها عبيد لنا ونحن أربابها وملاكها ولنا أن نتحكم فيها تحكم الارباب ونتصرف فيها تصرف الملاك

فلما فرغ العراقي من كلامه نظر الملك الى طوائف الحيوان الحضور فقال : ماتقولون فيما ذكر وافتخر عليكم ؟ فقام عندذلك زعيم

السباع وهو كليلة أخو دمنة فقال : الحمد لله القوى العلام خالق الجبال والآكام منشيء النبات والاشجار في الفيافي والآجام وجاعلها أقواتا للوحوش والانعام وهو العلي الحكيم خالق السباع ذوات البأس والشجاعة والاقدام والجسارة ذوات الزنود المتينة والمخالب الحدادة والانياب الصلاب والافواه الواسعة والقفزات السريعة والوثبات البعيدة والانتشار فى الليالى المظلمة للمطالب من الاقوات . وهو الذى جعل أقواتها من جيف الانام ولحوم الانعام متاعا الى حين ثم قضي على جميعها الموت والفناء والمصير الى البلي فله الحمد على ماوهب وأعطى وعلي ماحكم من الصبر والرضا . ثم التفت زعيم السباع الى الجماعة الحضور هناك من حكماء الجن وزعماء الحيوانات فقال : هل رأيتم معشر الحكماء وسمعتم معشر الخطباء أحدا أكثر سهوا وأطول غفلة وأقل تحصيلا من هذا الانسي ؟ قالت الجماعة : كيف ذلك ؟ قال : لانه ذكر أن من فضائلهم كيت وكيت من حسن اللباس ولين الدثار ، ثم قال للانسي : خبرني هل كانت هذه الاشياء التي ذكرت وافتخرت بها الا بعد ما أخذتموها من غيركم من سائر الحيوانات واستعرتموها من سواكم من البهائم وسلبتموها عنها ؟ قال الانسي : ومتى كان ذلك ؟ قال : أليس أنعم ماتلبسون وأحسن ماترتبون من اللباس الحرير والديباج والابريسم ؟ قال بلي . قال : أليس ذلك من لعاب الدودة التى ليست هي من ولد آدم ؟ قال : هي من جنس الهوام قد نسجتها على نفسها لتكون كنا لها وتنام فيها فتكون لها غطاء ووطاء

وحرزا من الآفات من الحر والبرد والرياح والامطار وحوادث الايام ونوائب الزمان فجئتم أنتم وأخذتم منها قهرا وغلبتموها جورا فعاقبكم الله به وابتلاكم بسلها وفتلها ونسجها وخياطتها وقصارتها وقطعها وتطريزها وما شاكل ذلك من العناء والتعب الذي أنتم مبتلون به معاقبون في اصلاحها ومرماتها وبيعها وشرائها وحفظها بشغل القلوب وتعب الابدان وعناء النفوس لا راحة لكم ولا قرار ولا سكون ولا هدوء في دائم الاوقات ، وهكذا حكمكم في أخذ أصواف الانعام وجلود البهائم وأوبار السباع وشعورها وريش الطيور فكل هذه أخذتموها قهرا ونزعتموها غصبا وسلبتموها عنها ظلما وجورا ونسبتموها الى أنفسكم بغير حق ثم جئتكم تفتخرون بها علينا ولا تستحيون ولا تعتبرون ولا تذكرون . ولو كان ذلك فخرا ونباهة لكنا أولى بذلك الفخر منكم اذ قد أنبت الله ذلك على ظهورنا وجعلها لباساً لنا ودثارا ووطاء وغطاء وسترا وزينة لنا كل ذلك تفضلا منه علينا ورفقاً ورحمة لنا ورأفة علينا وتحنناً وشفقة على أولادنا وصغار أبنائنا وذلك أنه اذا ولد واحدنا فعليه جلوده المصلحة له وعلي جلده الشعر أو الصوف أو الوبر أو الريش أو الفلوس . كل ذلك جعل لنا لباساً ودثارا وسترا وزينة على قدر كبر جثته وعظم خلقته لا يحتاج فى اتخاذها الى عمل ولا سعي في ندف أو حلج أو غزل أو نسج أو قطع أو خياطة مثل ما أنتم مبتلون بها معاقبون عليها لا راحة لكم الي الموت : كل ذلك عقوبة لكم بذنب أبيكم لما عصي وترك

وصية ربه وغوى .

قال الملك لزعيم السباع : كيف كان مبدأ آدم فى خلقه من أول ابتدائه ؟ خبرنا عنه . قال : نعم أيها الملك ان الله تعالى لما خلق آدم أبا البشر وزوجته ازاح عللهما فيما كانا يحتاجان اليه فى قوام وجودهما وبقاء شخصهما من المواد والغذاء والدثار واللباس مثل مافعل لسائر الحيوانات التي كانت في تلك الجنة على رأس ذلك الجبل الذي بالمشرق تحت خط الاستواء ، وذلك انه لما خلقهما عريانين أنبت على رأس كل واحد منهما شعرا طويلا مدلى على جسد كل واحد منهما في جميع الجوانب جعدا وسبطًا مرجلا أسود لينًا كأحسن ما يكون على رأس الجوارى الابكار . أنشأهما شابين أمردين تربين في أحسن صورة من صور تلك الحيوانات التي هناك ، وكان ذلك الشعر لباسًا لهما وسترا لعورتهما ودثارا لهما ووطاء وغطاء ومانعًا عنهما من البرد والحر ، فكانا يمشيان فى ذلك البستان ويجنيان من ألوان تلك الثمار فيأكلان منها ويتقوتان بها ويتنزهان في تلك الرياض والرياحين والزهر والنور مستريحين متلذذين منعمين فرحانين بلا تعب من البدن ولا عناء من النفس ، وكانا منهيين عن تجاوز طورهما وتناول ماليس لهما قبل وقته فتركا وصية ربهما فاغترا بقول عدوهما فتناولا ما كانا منهيين عنه فسقطت مرتبتهما وتناثرت شعورهما وانكشفت عوراتهما وأخرجا من هناك عريانين مطروحين مهانين معاقبين فيما يتكلفانه من اصلاح أمر المعاش وما يحتاجان اليه في قوام الحياة الدنيا كما ذكر

حكيم الجن فيه فصل قبله ذلك .

فلما بلغ زعيم السباع الى هذا الموضع من الكلام قال لهم زعيم الانس : أما أنتم يامعشر السباع فسبيلكم أن تسكتوا وتصمتوا، وتستحيوا ولا تتكلموا. قال له كليلة : ولم ذلك ؟ قال : لانه ليس في هذه الطوائف الحضور ههنا جنس أقل منكم معشر السباع ولا أقسي قلوبا ولا أقل نفعا ولا أكثر ضررا ولا أشد حرصا في أكل الجيف وطلب المعاش منكم . قال كيف ذلك؟ قال لانكم تفترسون معشر السباع هذه البهائم والانعام بمخالب حداد فتخرقون جلودها وتكسرون عظامها وتشربون دماءها وتشقون أجوافها بلا رحمة عليها ولا فكرة فيها ولا رفق بها . قال زعيم السباع : منكم تعلمنا ذلك وبكم اقتدينا فيما نفعل بهذه البهائم . قال الانسى : كيف كان ذلك ؟ قال : لان قبل خلق أبيكم آدم وأولاده ما كانت تفعل السباع من ذلك شيئا ولا تصطاد الاحياء منها لانه كان فى كثرة جيفها وما يموت كل يوم باجالها كفاية لنا وقوت منها ، فلم نكن نحتاج الى صيد الاحياء وحمل المخاطرة على أنفسنا في الطلب والقتال والمحاربة والتعرض لاسباب المنايا ، وذلك ان الاسود والنمور والفهود والذئاب وغيرها من أصناف الحيوانات السبعية الآكلة اللحوم لا تتعرض للفيلة والجواميس والخنازير مادامت تجد من جيفها مايقوتها ويكفيها الا عند الاضطرار وشدة الحاجة لان لها أيضا اشفاقا على أنفسها كما يكون لغيرها من الحيوانات . فلما جئتم أنتم معشر الانس وحشرتم

منها قطعان الغنم والبقر والجمال والخيل والبغال والحمير وأحرزتموها ولم تتركوا منها في البراري والقفار والآجام واحدا عدمت السباع جيفتها فاضطرت الى صيد الاحياء منها وحل لها ذلك كما حل لكم الميتة عند الاضطرار.

وأما الذى ذكرت من قلة رحمتنا وقساوة قلوبنا فلسنا نرى هذه البهائم تشكو منا كما شكت منكم ومن جوركم وظلمكم وتعديكم عليها. وأما الذى ذكرت بأنا نقبض عليها بمخالب وأنياب ونخرق جلودها ونشق أجوافها ونكسر عظامها ونشرب دماءها ونأكل لحومها فهكذا تفعلون أنتم أيضاً: تذبحون بسكاكين حداد وتسلخون جلودها وتشقون أجوافها وتكسرون عظامها بالسواطير والاطبار ونار الطبخ وحر التشوية زيادة على ما نفعل بها نحن. وأما الذى ذكرت من ضررنا وجورنا على الحيوان فالقول كما قلت، ولكن لو فكرت واعتبرت لعلمت وتبين لك ان كل ذلك صغير وحقير في جنب ما أنتم تفعلون بها من الضرب والجور والظلم كما زعم زعيم البهائم في الفصل الاول. وأما ضرر بعضكم لبعض فيربو على ذلك كله من ضرب بعضكم بعضا بالسيوف والسكاكين والطعن بالرماح والزوبينات والضرب بالدبابيس والسياط والمثلة والنكال وقطع الايدى والارجل والحبس في المطامير والسرقة واللصوصة والغش والخيانة فى المعاملة والغمز والسعاية والمكر والخديعة والحيل في أسباب العداوة وما شاكل هذه الخصال مما لا تفعله السباع بالحيوانات ولا بعضها ببعض

ولا تعرفه . وأما الذى ذكرت من قلة منافعنا لغيرنا فلو فكرت واعتبرت علمت وتبين لك أن النفع منا لكم ظاهر مما تنتفعون به من جلودنا وشعورنا وأوبارنا وأصوافنا وما تنتفعون به من من صيد الجوارح التي سخرتموها مناولكن خبرنا أيها الانسى أى منفعة منكم لغيركم من الحيوانات ؟ فاما الضرر فهو ظاهر بين اذ قد شاركتمونا في ذبح هذه الحيوانات وأكل لحمانها والانتفاع بجلودها وشعورها ولبخلكم علينا بالانتفاع بجيفكم دفنتموها تحت التراب حتى لا ننتفع منكم احياء وأمواتا . وأما الذى ذكرت من غارات السباع على الحيوانات وقبضها عليها وقتالها فإن ذلك كله انما فعلته السباع بعلم مارأت ان بنى آدم يفعلونه بعضهم ببعض من عهد قابيل وهابيل الى يومنا هذا ، ترى كل يوم من القتلى والجرحى والصرعى في الحرب والقتال مثل ماقد شوهد أيام رستم واسفنديار وأيام جمشيد والضحاك وتبع وافريدون وأيام افراسياب ومنوجهر وأيام دارا والاسكندر الرومي وأيام بختنصر وآل داود وأيام سابور ذى الاكتاف وأيام بهرام وآل عدنان وأيام قحطان وأيام قسطنطين وأهل بلاد يونان وأيام عثمان ويزدجرد وأيام بني العباس وبني مروان وهلم جرا الى يومنا هذا . نرى فى كل شهر وسنة ويوم وقعة بين بني آدم بعضهم الى بعض . وما يحدث في هذه الازمان من أسباب الشرور والقتل والجراح والمثلة والنهب والسبي مالا يقدر قدره ولا يعد عدده ، ثم الآن تفتخرون علينا وتقولون في حق السباع أنها شر خليقة في الارض ؟

أما تستحيون من هذا القول الزور والبهتان علينا ؟ ومتى رأى واحد من الانس أن السباع قاتل بعضها بعضاً كما تفعلون في كل يوم ؟

ثم قال زعيم السباع لزعيم الانس : لو تفكرتم يامعشر الانس في أحوال السباع واعتبرتم تصاريف أمورها لعلمتم وتبين لكم انها خير منكم وأفضل . قال زعيم الانس : كيف ذلك ودل عليه . قال نعم أليس خياركم الزهاد والعباد والرهبان والاخيار والنساك ؟ قال نعم . قال : أليس اذا تناهى واحد منكم في الخيرية والصلاح خرج من بين ظهرانيكم وفر منكم وذهب يأوى رؤوس الجبال والتلال و بطون الاودية والسواحل والآجام والآكام مأوى السباع ويخالطها فى أكنافها و يعاشرها في أوطانها و يجاورها في أماكنها ولا تتعرض له السباع ؟ قال بلى كما قلت . قال : فلولم تكن السباع أخيارا لما جاورها أخياركم ولما عاشرها الصالحون منكم ، لان الاخيار لايعاشرون الاشرار بل يفرون منهم ويبعدون عنهم . فهذا دليل على أن السباع صالحون لا كما زعمتم انها شر خلق الله ، فهذا القول الذى ذكرتم زور و بهتان عليها . ودليل آخر يدل على أن السباع صالحون لا كما زعمت ان من سنة ملوككم الجبابرة اذا شكوا فى الصالحين والاخيار من أبناء جنسكم يطرحونهم بين يدى السباع فان لم تأكلهم علموا انه من الاخيار لانه لايعرف الاخيار الا الاخيار كما قال القائل

ويعرف الباحث من جنسه — وسائر الناس له منكر

واعلم أيها الانسي ان في السباع أخيارا وأشرارا وان الاشرار لاتأ كل الا الناس الاشرار : كما قال الله تعالى « وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون » أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولك .

فلما فرغ زعيم السباع من كلامه قال حكيم من الجن : صدق هذا القائل ان الاخيار يهربون من الاشرار ويأنسون بالاخيار وان كان من غير جنسهم . فان الاشرار أيضاً يبغضون الاخيار ويهربون منهم ويحبون أبناء جنسهم من الاشرار . فلولم يكن بنو آدم أكثرهم اشرارا لما هرب أخيارهم من بين ظهرانيهم الي رؤس الجبال والآ كام مأوى السباع وهي من غير جنسهم ولا تشبههم في الصورة ولا في الخلقة الا فى اخلاق الخيرية والصلاح في النفوس والسلامة . فقالت الجماعة كلها : صدق الحكيم فيما قال وخبر وذكر . فخجلت جماعة الانس عند ذلك ونكست رؤسها حياء وخجلا لما سمعت من التوبيخ والتعريض ، وانقضي المجلس ونادى مناد انصرفوا مكرمين لتعودوا غدا ان شاء الله تعالى .

ولما كان الغد جلس الملك في مجلسه وحضرت الطوائف كلها على الرسم واصطفت ، فنظر الملك الى جماعة الانس فقال : قد سمعتم ماجرى أمس مما شاع وذاع عند الكل وسمعتم الجواب عما قلتم فهل عندكم شيء آخر غير ماذكرتم أمس ؟ فقام عند ذلك الزعيم الفارسي وقال : نعم أيها الملك العادل ان لنا مناقب أخر وخصالا

عدة تدل على صحة ماتقول وندعي . قال الملك : هات واذكر منها شيئاً . قال نعم ان منا الملوك والامراء والخلفاء والسلاطين ، وان منا الرؤساء والكتاب والوزراء والعمال وأصحاب الدواوين والقواد والحجاب والنقباء والخواص وخدم الملوك وأعوانهم من الجنود ، ومنا أيضاً البناء والدهاقين والشرفاء والاغنياء وأرباب النعم وأصحاب المروآت ، وان منا أيضاً الصناع وأصحاب الحرث والزرع والنسل ، ومنا أيضاً الادباء وأهل العلم والورع والفضل ، ومنا الخطباء والشعراء والفصحاء ، ومنا المتكلمون والنحويون والقصاص وأصحاب الاخبار ورواة الحديث والقراء والعلماء والفقهاء والقضاة والحكام والعدول والمذكرون ، وأيضاً منا الفلاسفة والحكماء والمهندسون والمنجمون والطبيعيون والاطباء والعرافون والمعزمون والكهنة والراقون والمعبرون والكيميائيون وأصحاب الطلسمات وأصحاب الارصاد وأصناف أخر يطول ذكرهم وكل هذه الطوائف والطبقات لهم أخلاق وسجايا وطباع وشمائل ومناقب وخصال حسنة وآراء ومذاهب حميدة وعلوم وصنائع حسان مختلفة ومتفننة وكل هذه الخصال مختصة بنا وهذه الحيوانات بمعزل عنها فهذا دليل على انا أرباب لها وهي عبيدلنا

فلما فرغ زعيم الانس من كلامه نطق البيغاء فقال : الحمد لله الذي خلق السموات المسموكات والارضين المدحيات والجبال الراسيات والبحار الزاخرات والبراري والفلوات والرياح الذاريات والسحاب المنشآت والقطرات الهاطلات والشجر والنبات والطير

الصافات « كل قد علم صلوته وتسبيحه » ثم قال اعلموا أن هذا الانسي قد ذكر أصناف بني آدم وعدد طبقاتهم . فلو تفكر أيها الملك الحكيم واعتبر كثرة أجناس الطيور وأنواعها لعلم وتبين له من كثرتها مايصغر ويقل عنده أصناف بني آدم في جنب ذلك كما تقدم ذكره فى فصل من هذا الكتاب حيث قال السيمرغ للطاؤس : ـ من هنا من خطباء الطيور وفصحائها ؟ ولكن خذ الآن أيها الانسي الانسي بازاء ماذكرت وافتخرت به واحدا مذموما . وبدل كل جنس حسن مليح جنسا قبيحا سمجا ونحن بمعزل عنها . وذلك أن منكم الفراعنة والنماردة والجبابرة والكفرة والفجرة والفسقة والمشركين والمنافقين والملحدين والمارقين والناكثين والقاسطين والخوارج وقطاع الطريق واللصوص والعيارين والطرارين . ومنكم أيضا الدجالون والباغون والمرتابون . ومنكم أيضاً الغمازون والكذابون والنباشون ، ومنكم أيضاً السفهاء والجهلاء والاغبياء والناقصون وما شاكل هذه الاصناف والاوصاف والطبقات المذمومة أخلاقهم الردية طباعهم القبيحة أفعالهم السيئة أعمالهم الجائرة سيرتهم ونحن بمعزل عنها ونشارككم في أكثر الخصال المحمودة والاخلاق الجميلة والسنن العادلة . وذلك ان أول شيء ذكرت وافتخرت به ان منكم الملوك والرؤساء ولكم أعوان وجنود ورعية ، وما علمت بان لجماعة النحل ولجماعة النمل ولجماعة السباع ولجماعة الطيور رؤساء وجنودا وأعوانا ورعية . وان رؤساءها أحسن سياسة وأشد رعاية من ملوك

بني آدم لها وأشد تحننا وأكثر رأفة وشفقة عليها :

بيان ذلك أن أكثر ملوك الانس ورؤسائهم لا ينظر في أمور رعيته وجنوده واعوانه الا لجر المنفعة لنفسه أو لدفع المضرة عنه ، أو لاجل من يهواه لشهواته كائنا من كان من بعيد أو قريب ولا يتفكر بعد ذلك في أحد ولا يهمه أمره كائنا من كان قريبا أو بعيدا. وليس هذا من فعل الملوك العقلاء ولا عمل الرؤساء ذوى السياسة الرحماء بل من سياسة الملك وشرائطه وخصال الرئاسة أن يكون الملك والرئيس رحيما رؤوفا لرعيته مشفقا متحننا علي جنوده واعوانه اقتداء بسنة الله الرحمن الرحيم الجواد الكريم الرؤوف الودود لخلقه وعبيده كائنا من كان الذى هو رئيس الرؤساء وملك الملوك

وأما أجناس الحيوانات وملوكها ورؤساؤها فهم أحسن اقتداء بسنة الله تعالى من رؤساء الانس وملوكهم . وذلك ان ملك النحل ينظر فى أمور رعيته وجنوده واعوانه ويتفقد أحوالهم . وهكذا يفعل ملك النمل وملك الكراكى في حراسته وطيرانه وملك القطافي وروده وصدوره ، وهكذا حكم سائر الحيوانات التى لها رؤساء ومدبرون لا يطلبون من رعاياهم عوضا ولا جزاء فيما يسوسونهم به ولا يطلبون من أولادهم برا ولا صلة رحم ولا مكافأة كما يطلب بنى آدم من أولادهم البر والمكافأة فى تربيتهم لهم ، بل نجد كل نفس من الحيوانات التى تنزو وتسفد وتحبل وتلد وترضع وتربي الاولاد ، والتى تسفد وتبيض وتحضن وتزق وتربي الفراخ والاولاد لا تطلب من

أولادها براً ولا صلة ولا مكافأة ولكنها تربي أولادها تحنناً عليها
وشفقة ورحمة لها ورأفة بها : كل ذلك اقتداء بسنة الله اذ خلق عبيده
وأنشأهم ورباهم وأنعم عليهم وأحسن اليهم واعطاهم من غير سؤال
منهم ولم يطلب منهم جزاء ولا شكوراً . ولو لم يكن من لؤم طباع
الانس وسوء اخلاقهم وسيرهم الجائرة وعادتهم الردية وأعمالهم
السيئة وافعالهم القبيحة ومذاهبهم الردية الضالة وكفرانهم النعم لما
أمر الله تعالى بقوله : « ان أشكرلى ولوالديك الى المصير » كما لم يأمر
أولادنا اذ ليس فيهم العقوق والكفران وانما يوجه الامر والنهى
والوعد والوعيد اليكم معشر الانس دوننا لانكم عبيد سوء يقع منكم
الخلاف والكفر والعصيان وانتم بالعبودية أولى منها ونحن بالحرية
أولى منكم فمن أين زعمتم انكم أرباب لنا ونحن عبيد لكم لولا
الوقاحة والمكابرة وقول الزور والبهتان

ولما فرغ البيغاء من كلامه قال حكماء الجن وفلاسفتها صدق
هذا القائل في جميع ماذكر وخبر به . فخجلت جماعة الانس عند
ذلك ونكسوا رؤسهم من الحياء والخجل لما توجه عليهم من الحكم
ثم لم يكن من الانس أحد ينطق بعد ذلك . ولما بلغ البيغاء من كلامه
الى هذا الموضع قال الملك لرئيس الفلاسفة من الجن : من هؤلاء
الملوك الذين ذكرهم هذا القائل وأثني عليهم ووصف شدة رحمتهم
واشفاقهم على رعيتهم وتحننهم ورأفتهم واشفاقهم على جنودهم
وأعوانهم وحسن سيرهم فيهم ؟ وأنا أظن أن فى ذلك رمزا من

الرموز وسرا من الاسرار فعرفني ماحقيقة هذه الاقاويل واشارات هذه المراميز . قال نعم أيها الملك السعيد سمعاً وطاعة اعلم أن اسم الملك مشتق من اسم الملك وأسماء الملوك من أسماء الملائكة وذلك انه مامن جنس من هذه الحيوانات ولا نوع منها ولا شخص ولا صغير ولا كبير الا ولله عز وجل ملائكة موكاون بها تربيها وتحفظها وتراعيها فى جميع متصرفاتها ، ولكل جنس من الملائكة رئيس عليها يراعي أمورها وهم عليها أشد رحمة ورأفة وتحننا وشفقة من الوالدات لاولادها الصغار وبناتها الضعيفة . ثم قال الملك للحكيم ومن أين للملائكة هذه الرحمة والرأفة والشفقة والتحنن الذى ذكرت ؟ قال من رحمة الله ورأفته للخلق وشفقته وتحننه ، وكل رأفة ورحمة من الولدان والآباء والامهات والملائكة ورحمة الخلق كلهم بعضهم لبعض فهي جزء من ألف ألف جزء من رحمة الله ورأفته لخلقه وتحننه وشفقته على عباده . ومن الدليل على صحة ما ذكرت وحقيقة ماوصفت ان ربهم لما أبدأهم وأبدعهم وخلقهم وسواهم وتممهم ورباهم ، ووكل بحفظهم الملائكة الذين هم صفوته من خلقه وجعلهم رحماء كراماً بررة وخلق لهم المنافع والمرافق من طرفي الهيا كل العجيبة والصور والاشكال الظريفة والحواس الدراكة اللطيف وألهمهم جر المنافع ودفع المضار وسخر لهم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ودبرهم في الشتاء والصيف في البر والبحر والسهل والجبل ، وخلق لهم الاقوات من الشجر متاعا لهم الى

حين ، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ولو عددت لما أحصيت و
كل هذه دلالة وبرهان على شدة رحمة الله ورأفته وتحننه وشفقته
على خلقه . قال الملك : فمن رئيس الملائكة الموكلين ببني آدم
وحفظهم ومراعاة أمورهم ؟ قال الحكيم : هو النفس الناطقة الكلية
الانسانية التي هي خليقة الله في أرضه ، وهي التي قرنت بجسد آدم
لما خلق من التراب وسجدت له الملائكة أجمعون ، وأبى ابليس
عن سجدة آدم . وهي النفس الحيوانية المنقادة للنفس الناطقة الباقية
وهي القوة الغضبية والشهوانية وهي النفس الامارة بالسوء . وهذه
النفس الكلية الناطقة هي الباقية الى يومنا هذا فى ذرية آدم كما ان
صورة جسد آدم الجسمانية باقية في ذريته الى يومنا هذا عليها ينشأون
و بها ينمون و بها يجازون و بها يؤاخذون واليها يرجعون و بها يقومون
يوم القيامة و بها يبعثون و بها يدخلون الجنة و بها يصعدون الى عالم
الافلاك . ثم قال الملك : لماذا لاتدرك الابصار الملائكة والنفوس
قال لانها جواهر روحانية شفافة نورانية ليس لها لون ولا جسم ولا
تدركها الحواس الجسمانية مثل الشم والذوق واللمس بل تراها الابصار
اللطيفة مثل أبصار الانبياء والرسل واسماعهم فانهم بصفاء نفوسهم
وانتباهها من نوم الغفلة واستيقاظها من رقدة الجهالة وخروجها من ظلمات
الخطايا قد انتعشت نفوسهم وحييت فصارت مشاكلة لنفوس الملائكة
تراها وتسمع كلامها وتأخذ منها الوحي والأنباء فتؤديها الى أبناء
جنسها من البشر بلغاتها المختلفة لمشاكلتهم اياهم باجسادهم واجسامهم

ثم قال الملك: جزاك الله خيرا ونظر الى الببغاء وقال: تمم كلامك .

فقال الببغاء بعد خطبة: أما بعد أيها الانسي ان الذي ذكرت بان منكم صناعا وأصحاب حرف فليس بفضيلة لكم دون غيركم ولكن قد شارككم فيها بعض الطيور والهوام والحشرات . بيان ذلك ان النحل من الحشرات وهي في اتخاذ البيوت و بناء المنازل أعلم وأحذق من صناعكم المهندسين والبنائين منكم ، وذلك انها تبني بيوتها منازل طبقات مستديرات كالاتراس بعضها فوق بعض من غير خشب ولا طين ولا أجر ولا جص كانها غرف من فوقها غرف وتجعل بيوتها مسدسات متساوية الأضلاع والزوايا لما فيها من اتقان الحكمة والصنعة واحكام البنية ولا تحتاج في عمل ذلك الى فركار تديرها ولا مسطرة تخطها ولا شاقول تدليها ولا كونيا تقدرها كما يحتاج البناؤون من بني آدم ، ثم انها تذهب في الرعي وتجمع الشمع من ورق الاشجار والنبات بأرجلها والعسل من زهر النبات ونور الاشجار وورودها ، تجمعه بمشافرها ولا تحتاج في ذلك الى زنبيل ولا سلة ولا ملقط ولا مكتل تجمعه فيها أو آلة وأداة تستعملها كما يحتاج البناؤون منكم الى الآلات والادوات مثل الفأس والمر والمسحاة والراقود والمالج وما شاكلها . وهكذا أيضاً العنكبوت وهي من أضعف الهوام ومع ذلك انها فى نسجها شبكها وتقديرها هندامها هي أعلم واحذق من الحاكة والنساجين منكم وذلك انها تمد عند نسجها شبكها أولا خيطا من حائط الى حائط أو من غصن الى غصن أو من شجرة الى شجرة أو

من جانب نهر الى الجانب الآخر من غير أن تمشي على الماء وتطير في الهواء ثم تمشي علي ذلك الذى مدته اولا و تجعل سدى شبكها خطوطا مستقيمة كانها اطناب الخيمة المضروبة ثم تنسج لحمتها علي الاستدارة وتترك في وسطها دائرة مفتوحة تتمكن فيها لصيد الذباب وكل ذلك تفعله من غير مغزل لها ولا مفتل ولا كاركاه ولا قصبات ولا مشط ولا أدوات كما يفعل الحائك والنساج منكم فيما يحتاج اليه من الادوات والآلات المعروفة فى صناعتهم . وهكذا أيضاً دودة القز من الهوام وهي أحذق صناعهم وصناعتها أحكم من صناعتهم ، فمن ذلك انها اذا شبعت في الرعي طلبت مواضعها بين الأشجار والنبات والشوك ومدت من لعابها خيوطاً دقاقاً ملساً لزجة متينة ونسجت هناك على أنفسها كنا كانه كيس صلب ليكون حرزا لها من الحر والبرد والرياح والامطار ونامت الى وقت معلوم ، كل ذلك تفعل من غير حاجة الى أن تتعلم من الاستاذين ولا من الآباء الامهات بل الهاماً من الله عز وجل وتعليما منه وكل ذلك تفعل من من غير حاجة الى مغزل أو مفتل أو مخيط أو مقص كما يحتاج الخياطون والرفاؤون والنساجون منكم. وهكذا الخطاف وهو من الطير يبني لنفسه منزلا ولاولاده مهدا معلقا في الهواء تحت السقوف من الطين من غير حاجة له الى سلم يرتقي اليه أو ناوق يحمل الطين فيه أو عمود أو آلة من الآلات أو اداة من الادوات . وهكذا أيضاً الارضة من الهوام تبني على نفسها بيوتا من الطين صرفاً تشبه الازاج والاروقة

من غير أن تحفر التراب وتبل الطين أو تسقي الماء، فقولوا أيها الفلاسفة الحكماء من أين لها ذلك الطين ومن أين تجمعه وكيف تحمله ان كنتم تعلمون وعلى هذا المثال حكم صناعة سائر أجناس الطيور والحيوانات في اتخاذها المنازل والاوكار والعشوش وتربية أولادها تجدها أحذق وأعلم وأحكم من الانس . من ذلك تربية النعامة وهى مركبة من طائر وبهيمة لفراريجها ، وذلك انها اذا اجتمع لها من بيضها عشرون أو ثلاثون قسمتها ثلاثة أثلاث ثلثاً تدفنها في التراب وثلثاً تتركها فى الشمس وثلثاً تحضنها . فاذا أخرجت فراريجها كسرت ما كانت في الشمس وسقتها مافيها من تلك الرطوبة التي ذوبتها الشمس ورققتها . فاذا اشتدت فراريجها وقويت أخرجت المدفون منها وفتحت لها ثقباً يجتمع فيها النمل والذباب والديدان والهوام والحشرات ثم تطعمها لفراريجها حتى اذا قويت عدت ورعت ولعبت . فقل أيها الانسي أى نسائكم تحسن مثل هذه في تربية أولادها ؟ لان نساءكم ان لم تكن لها قابلة في وقت مخاضها تعينها فى وضعها حملها وتشيل ولدها عند الوضع وتغطيها وولدها كيف تقطع سرة ولدها وكيف تقمطه وتدهنه وتكحله وتسقيه وتنومه لا تعلم شيئاً ولا تعرفه ؟ وكذلك أيضاً حكم أولادكم في الجهالة وقلة المعرفة يوم يولدون لا يعلمون خيرهم ومصالح أمورهم ولا يعقلون من مصالح أمورهم شيئاً من جر منفعة ولا دفع مضرة الا بعد أربع سنين أو سبع أو عشرين ويحتاجون أن يتعلموا كل يوم علما جديدا أو أدبا

مستأنفاً الى آخر العمر ، ونحن أولادنا اذا خرج من الرحم أحدهم.
أو من البيض أو من الكور يكون معلما ملهما عارفاً لما يحتاج اليه من
أمر مصالحه ومنافعه لايحتاج الى تعليم من الآباء والامهات . فمن
ذلك أمر فراريج الدجاج والدراج والقباج والطياهيج وما شا كلها
فانك تجدها اذا تفقص البيض وتخرج تعدو من ساعتها تلقط الحب
وتهرب من الطالب لها حتى ربما لاتلحق . كل ذلك عن غير تعليم
من الآباء والامهات بل وحياً والهاماً من الله لها وكل ذلك رحمة منه
بخلقه وشفقة ورأفة . وذلك ان هذا الجنس من الطيور لما لم يكن
يعاون الذكر الانثى في الحضانة والتربية للاولاد كما يعاون باقي الطيور
كالحمام والعصافير وغيرها أكثر الله عدد فراريجها وأخرجها مستغنية
عن تربية الآباء والامهات من شرب اللبن أو زق الحبوب والغذاء
مما يحتاج اليه غير هذا الجنس من الحيوان والطير ، وكل ذلك عناية
من الله تعالى وحسن نظرة منه لهذه الحيوانات التي تقدم ذكرها .
فقل لنا الآن أيها الانسي أيهما أكرم عند الله تعالى : الذى عنايته
أكثر ورعايته أتم أو غير ذلك ؟ فسبحان الله الخالق الرحيم الرؤوف
لخلقه الودود الشفيق الرفيق لعباده نحمده ونسبحه في غدونا ورواحنا
نهلله ونقدسه في ليلنا ونهارنا فله الحمد والمن والفضل والشكر والثناء
وهو أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأحسن الخالقين .

وأما الذى ذكرت أن منكم الشعراء والخطباء والمتكلمين
والمذكرين ومن شا كلهم فلو انكم فهمتم منطق الطير وتسبيح

الحشرات وتكبيرات الهوام وتهليلات البهائم وتذكار الصرصر ودعاء الضفدع ومواعظ البلابل وخطب القبابر وتسبيح القطا وتكبير الكراكي وأذان الديك وما يقول الحمام فى هديره وما ينعق الغراب الكاهن من الزجور وما يصف الخطاطيف من الامور وما يخبر الهدهد وما يقول النمل وما يحدث النحل و وعيد الذباب وتحذير البوم وغيرها من سائر الحيوانات ذوى الاصوات والطنين والزئير لعلمتم معشر الانس وتبين لكم ان فى هؤلاء الطوائف خطباء وفصحاء ومتكلمين ومستخيرين ومذكرين و واعظين مثل مافي بني آدم ولما افتخرتم علينا بخطبائكم وشعرائكم ومن شاكلهم ، وكفي دلالة وبرهانا على ما قلت وذكرت قول الله عز وجل فى القرآن العزيز : « وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم » فنسبكم الله تعالى الى الجهل وقلة العلم والفهم بقوله : « لاتفقهون تسبيحهم » ونسبنا الى العلم والفهم بقوله : « كل قد علم صلوته وتسبيحه » ثم قال : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون » فهل على سبيل التعجب لانه يعلم كل عاقل أن الجهل لايستوي مع العلم لاعند الله ولا عند الناس . فبأى شيء تفتخرون علينا معشر الانس . وتدعون انكم أرباب لنا ونحن عبيد لكم مع هذه الخصال التي فيكم كما بينا قبل غير الزور والبهتان ؟

وأما ماذكرت من أمور المنجمين الزراقين منكم فاعلموا ان لهم تمويهات وزرقا دقيقاً لاينفق الا علي الجهال من العوام والنساء والصبيان

والحمقى ويخفى أيضا علي كثير من العقلاء والادباء : من ذلك ان احدهم يخبر بالكائنات قبل كونها ويرجم بالغيب ويرجف به من غير معرفة صحيحة ولا دلائل واضحة ولا براهين مبينة فيقول بعد كذا شهرا وكذا سنة في بلد كذا يكون كيت وكيت وهو جاهل لا يدرى أى شيء يكون فى بلده وفي قومه وجيرانه ولا يدرى أى شيء يحدث عليه فى نفسه أو في ماله أو على أولاده أو غلمانه أو من يهمه أمرهم وانما يرجم بالغيب من مكان بعيد وفي زمان طويل لئلا يقع عليه الاعتبار ويتبين صدقه من كذبه وتمويهه ومخرقته . واعلم أيها الانسي بأنه لا يعتبر بقول المنجم الا الطغاة البغاة من ملوككم الجبابرة والفراعنة والنماردة والمغرورون بعاجل شهواتهم المنكرون امر الآخرة ودار المعاد الجاهلون بالعلم السابق والقدر المحتوم مثل نمرود الجبار وفرعون ذى الاوتاد وثمود وعاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد من قتل الاطفال بقول المنجمين الذين لا يعرفون خالق النجوم ومدبرها . بل يظنون ويتوهمون أن أمور الدنيا يدبرها الكواكب السبعة والبروج الاثنا عشر ولا يعرفون المدبر الذي فوقها وهو خالقها ومصورها ومركبها ومدورها ومسيرها وقد أراهم الله تعالى قدرتها مرة أخرى ونفاذ أمره ومشيئته دفعات . وذلك أن نمرود الجبار خبره منجموه بمولود يولد فى مملكته في سنة من السنين بدلائل القرانات وانه يتربى ويكون له شأن عظيم ويخالف دين عبدة الاصنام فقال لهم : من أى أهل بيت يكون وفي أى يوم يولد وفى أى موضع

يتربي ؟ فلم يدروا ولم يمكنهم معرفة ذلك بل اشار عليه وزراؤه وجلساؤه بقتل كل مولود فى تلك السنة ليكون فى جملة من قتل وظنوا أن ذلك ممكن لجهلهم بالعلم السابق والقضاء المحتوم والمقدور الواقع الذى لابد أن يكون . ففعل ماأشاروا به عليه مما يقع وخلص الله تعالى ابراهيم خليله من كيدهم ونجاه من حيلهم وما دبروا من مكرهم . وهكذا فعل فرعون بموسي وأولاد بنى اسرائيل لما خبره منجموه بولادة موسي بن عمران فخلص الله كليمه من كيدهم ومكرهم لما أرادوا به ليرى فرعون وهامان وجنودهما ما كانوا يحذرون . وعلى هذا القياس والمثال تجرى أحكام النجوم ثم لاينفعهم ذلك من قضاء الله وقدره شيئاً . ثم أنتم معشر الانس لاتزدادون الا غرورا بقول المنجمين وطغيانا ولا تعتبرون ولا تتفكرون ولا تنتبهون من جهالاتكم ثم جئتم الآن تفتخرون علينا بان منكم منجمين واطباء ومهندسين وحكماء ومتفلسفين.

ولما بلغ الببغاء من كلامه الى هذا الموضع قال الملك للجماعة الحضور : أحسن الله جزاءه نعم ماقال وبين .

ثم قال الملك لزعيم الجوارح: أخبرني ما الفائدة وما العائدة فى معرفة الكائنات قبل كونها بالدلائل وما يخبر عنها أهلها بفنون الاستدلالات الزجرية والكهانية والنجومية والفأل والقرعة وضرب الحصا والنظر في الكف وما شاكل هذه الاستدلالات ان كان لايمكن دفعها ولا المنع لها ولا التحرز منها فيما يخاف ويحذر من

المناحس وحوادث الايام ونوائب الحدثان فى السنين والازمان ؟ — قال الزعيم: نعم يمكن دفع ذلك والتحرز منه أيها الملك ولكن لا من الوجه الذى يطلبه و يلتمسه أهل صناعة النجوم وغيرهم من الناس. قال: كيف يمكن ذلك وعلى أى وجه ينبغي أن يلتمس و يدفع ؟ — قال: باستعانة رب النجوم وخالقها ومدبرها . — قال: وكيف تكون الاستعانة به ؟ — قال: باستعمال سنن النواميس الالهية وأحكام الشرائع النبوية من البكاء والتضرع والصوم والصلاة والتبرع والصدقات فى بيوت العبادات وصدق النيات واخلاص القلوب والسؤال من الله تعالى بدفعها وصرفها عنهم كيف شاء ، وان يجعل لهم في ذلك خيرا وصلاحا لان الدلائل النجومية والزجرية انما تخبر عن الكائنات قبل كونها مما سيفعله رب النجوم وخالقها ومدبرها ومصورها ومدورها والاستعانة برب النجوم والقوة التي فوق الفلك وفوق النجوم أولى وأحرى وأوجب من الاستعانة بالاختيارات النجومية الجزئية على دفع موجبات أحكام الكائنات مما أوجبها أحكام القرانات والادوار وطوالع السنين والشهور والاجتماعات والاستقبالات في المواليد . — قال الملك: فاذا استعملت سنن النواميس على شرائط ماذكرت ودفع الله عنهم هل يدفع عنهم ما هو فى المعلوم انه لا بد كائن ؟ — قال: لا بد من كون ما هو في المعلوم ولكن ربما يدفع الله عن أهلها شر ما هو كائن أو يجعل لهم فيها خيرة وصلاحا ويجعلهم فى حيز السلامة — قال الملك: وكيف يكون ذلك بين لى ؟ —

قال : نعم أيها الملك أليس نمرود الجبار لما أخبره منجموه بالقرآن وهو الذى يدل على انه سيولد في الارض مولود يخالف دينه دين عبدة الاوثان كانوا يعنون به ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام ؟ — قال نعم . — قال : أليس قد خاف نمرود على دينه ومملكته ورعيته وجنوده فسادا ومناحس ؟ — قال نعم . — قال : أليس لو انه سأل رب النجوم وخالقها أن يجعل له ولرعيته وجنوده ما فيه خير وصلاح لكان الله عز وجل وفقه للدخول في دين ابراهيم هو وجنوده ورعيته وكان في ذلك صلاح لهم وخير ؟ — قال : نعم . — : وهكذا أيضاً فرعون لما أخبره منجموه بمولد موسى بن عمران لو انه سأل ربه أن يجعله مباركا عليه وقرة عين له وكان يدخل دينه ، أليس في ذلك كان صلاح له ولقومه وجنوده كما فعل بامرأته وبأحب الناس اليه وأخصهم به ؟ وهو الرجل الذى ذكره الله عز وجل في القرآن ومدحه وأثنى عليه فقال تعالى : « وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله » الى قوله : « فوقاه الله سيئات ما كسبوا » قال نعم . — ثم قال : أو ليس قوم يونس لما خافوا ما اظلهم من العذاب دعوا ربهم الذى هو رب النجوم وخالقها ومدبرها فكشف عنهم العذاب ؟ — قال نعم . اذن قد ثبتت فائدة علم النجوم والإخبار بالكائنات قبل كونها وكيفية التحرز منها اما بدفعها او بطلب الخيرة والصلاح فيها ، ومن اجل هذا اوصي موسي بن عمران لبني اسرائيل فقال : متى خفتم من حوادث

الزمان الغلاء والقحط والجدب والفتن أو غلبة الاعداء او دولة الاشرار ومصائب الاخيار فارجعوا عند ذلك الى الله بالتضرع والدعاء واقامة سنن التوراة من الصلوات والصدقات والقرابين والتوبة والندم والبكاء ، فانه اذا علم من صدق قلوبكم ونياتكم صرف عنكم تحذرون وكشف عنكم ما تخافون ومما انتم به مبتلون . وعلى هذا جرت سنة الانبياء والرسل من لدن آدم ابي البشر الى (محمد) صلى الله عليه وسلم

فعلى هذا ينبغي ان تستعمل احكام النجوم والاخبار بالكائنات قبل كونها وما يدل عليه من حوادث الايام ونوائب الزمان لا على ما يستعمله اليوم المنجمون ومن اغتر بقولهم بان يختاروا طالعاً جزئياً فيتحرزون به من موجبات احكامه الكليات وكيف يمكن أن يدفع احكام الكل بالجزء ؟ وكيف يجوز ان يستعان بالفلك على مدبر الفلك الا كما فعل قوم يونس والمؤمنون من قوم صالح وقوم شعيب وعلى هذا المثال ينبغي ان تستعمل مداواة المرضى والاعلاء ايضاً بالرجوع الى الله تعالى اولا بالدعاء والسؤال له بكشفها والرجاء منه ان يفعل بهم مثل ماذكرت في احكام النجوم من الكشف والدفع او الاصلاح في ذلك كما بين الله تعالى عن ابراهيم خليله حيث يقول « الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني و يسقين واذا مرضت فهو يشفين » ولا ينبغي ان يكون الرجوع الى احكام الاطباء الناقصة في الصناعة الجاهلة بأحكام الطبيعة الغافلة عن معرفة رب الطبيعة ولطفه في صنعته وذلك انك ترى اكثر الناس يفزعون عند ابتداء

امرهم في امراضهم الى الطبيب فاذا فعل بهم العلاج والمداواة فلم ينفعهم ذلك وايسوا منه رجعوا عندذلك الى الله تعالى مضطرين ، وربما يكتبون الرقاع ويلزقونها على حيطان المساجد والبيع واساطينها ويدعون لانفسهم وينادون بالشهرة والنكال بقولهم رحم الله من دعا للمبتلي كما يفعل بالمشهرين هذا جزاء من سرق او عمل مايشبهه ، ولو انهم رجعوا الى الله فى اول الامر ودعوه في السر والاعلان كان خيرا لهم واصلح من الشهرة والنكال .

فعلى هذا يجب ان تستعمل احكام النجوم في دفع مضار النكبات والتحرز من موجبات احكامها او مايدل عليه من الحوادث لا كما يستعمله المنجمون من الاختيارات بطوالع جزئيات ليحترزوا بها عن موجبات احكامها الكليات من التي توجبها طوالع القرانات وطوالع السنين والشهور والاجتماعات والاستقبالات والاختيارات للاوقات الجيدة لاستجابة الدعاء وطلب الغفران والمسئلة من الله عز وجل بالكشف لما يخافون ويحذرون وان يصرف عنهم كيف ماشاء .

كما ذكروان ملكا اخبره منجموه بحادث كائن في وقت من الزمان يخاف منه هلاكا على بعض اهل المدينة ، فقال لهم : من أى وجه يكون و بأى سبب ، فلم يدروا تفصيله ولكن قالوا من سلطان لايطاق ، فقال لهم : متي يكون ؟ فقالوا فى هذه السنة في شهر كذا ويوم كذا فشاور الملك اهل الرأى كيف التحرز منه فاشار عليه اهل الرأى من اهل الدين والورع والمتألهون أن يخرج الملك واهل المدينة كلهم الي

خارج البلد فيدعوا الله تعالى ان يصرف عنهم ماخبرهم به المنجمون مما يخافونه ويحذرون ، فقبل الملك مشورتهم وخرج في ذلك اليوم الذى خافوا كون الحادث فيه وخرج معه اكثر اهل المدينة ودعوا الله تعالى ان يصرف عنهم مايخافون واحيوا تلك الليلة على حالهم فى الصحراء وبقي قوم في المدينة لم يكترثوا بما خبرهم المنجمون وما خاف الناس وحذروا منه ، فجاء بالليل مطر عظيم وسيل عرم وكان بناء المدينة في مصب الوادى فهلك من كان فى المدينة بائتاً ونجا من قد خرج وبات في الصحراء . فبمثل هذا يدفع عن قوم ويصيب قوماً واما الذى لايندفع فهو القضاء المبرم ولكن يجعل الله لاهل الدعاء والصدقة والصلاة والصيام في ذلك خيرا وصلاحا كما فعل بقوم نوح ومن آمن منهم نجاهم وجعل لهم خيرة فى ذلك كما ذكر الله تعالى بقوله « فأنجيناه والذين معه في الفلك واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوماً عمين » .

واما متفلسفوكم والمنطقيون والجدليون فانهم عليكم لا لكم . قال الانسي : كيف ذلك ؟ — قال : لانهم هم الذين يضلونكم عن المنهاج المستقيم وطريق الدين واحكام الشرائع بكثرة اختلافاتهم وفنون آرائهم ومذاهبهم ومقالاتهم وذلك ان منهم من يقول بقدم العالم ، ومنهم من يقول بقدم الهيولى ، ومنهم من يقول بقدم الصورة ومنهم من يقول بعلتين اثنتين ، ومنهم من يقول بثلاثة ، ومنهم من يقول بأربعة ، ومنهم من يقول بخمسة ، ومنهم من يقول بستة ، ومنهم

من يقول بسبعة ، ومنهم من قال بالصانع والمصنوع معاً ، ومنهم
من قال بلا نهاية ، ومنهم من قال بالتناهي ، ومنهم من قال بالمعاد ،
ومنهم من انكر ومنهم من اقر بالرسل والوحي ، ومنهم من
جحدها ، ومنهم من شك وارتاب وتحير ، ومنهم من قال بالعقل
والبرهان ، ومنهم من قال بالتقليد وما سوى ذلك من الاقاويل المختلفة
والآراء المتناقضة التي بنو آدم بها مبتلون وفيها متحيرون متبلبلون
شاكون وفيها مختلفون ، ونحن كلنا مذهبنا واحد وطريقنا واحدة
وربنا واحد لاشريك له لانشرك به شيئاً نسبحه في غدونا ونقدسه
في رواحنا ولا نريد لاحد شرا ولا نضمر له سوءا ولا نفتخر على
أحد من خلق الله تعالى راضون بما قسم الله لنا خاضعون تحت
أحكامه لانقول لما وكيف ولماذا فعل ودبر كما يقول الانس المعترضون
على ربهم في أحكامه ومشيئته في صنعته

وأما الذي ذكرت في أمر المهندسين والمساحين منكم وافتخرت
بهم فلعمرى ان لهم التعاطي في البراهين التي تدق على الفهم وتبعد
عن التصور لما يدعون منها ولكن أكثرهم لا يعقلون ولا يعلمون
لتركهم تعلم العلوم الواجب عليهم تعلمها ولا يسعهم الجهل بها لانهم
قد تراموا مايدعون من الفضولات التى لا يحتاجون اليها وذلك ان
أحدهم يتعاطي مساحة الاجرام والابعاد ومعرفة ارتفاع رؤوس
الجبال وارتفاع السحب وعمق قعر البحار وتكسير البرارى والقفار
ومعرفة تركيب الافلاك ومراكز الاثقال وما شاكلها وهو مع هذه

كلها جاهل بكيفية تركيب جسده ومساحة جثة بدنه ومعرفة طول مضارينه وأمعائه وسعة تجويف صدره وقلبه ورئته ودماغه وكيفية خلق معدته واشكال عظام جسده وتركيب هندام مفاصل بدنه وما شاكل هذه الاشياء التي معرفتها له أسهل وفهمها عليه أوجب والفكر فيها والاعتبار بها أهدى وأرشد له الى معرفة ربه وخالقه ومصوره كما قال عليه السلام : « من عرف نفسه فقد عرف ربه » وقال عليه السلام « أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه » . ومع جهله بهذه الاشياء أيضاً ربما يكون تاركا لتعلم كتاب الله وفهم أحكام شرائعه وطرائف دينه ومفروضات سنة مذهبه ولا يسعه تركها ولا الجهل بها

وأما افتخاركم باطبائكم والمداوين لكم فلعمرى انكم محتاجون اليهم مادامت لكم البطون المرحبة والشهوات المردية والنفوس الشرهة والمأكولات المختلفة وما يتولد منها من الامراض المزمنة والاسقام المؤلمة وسائر الاوجاع المهلكة فأحوجكم ذلك الى باب الاطباء فزادكم الله به مرضاً على مرض ، فانه لايرى على باب طبيب ولاصيدلاني الا كل عليل ومريض سقيم كما لايرى على دكان المنجم الا كل منحوس أو منكوب أوخائف ثم لايزيده المنجم الا نحساً على نحس لانه لايقدر على تقديم سعادة ولا تأخير منحسة ومع هذا يأخذ قطعة قرطاس ولا يكتب عليها الا زخرف القول غروراً وتخميناً وحزراً بلا يقين ولا برهان ، وهكذا حكم المتطببين منكم يزيدون العليل سقما والمريض عذابا بما يأمرونه بالحمية عن تناول أشياء وربما يكون شفاء العليل

في تناولها وهم ينهونه ويمنعونه عنها وربما لو تركوه مع حكم الطبيعة لكان أسرع لبرئه وأنجع لشفائه : فافتخاركم أيها الانس باطبائكم ومنجميكم هو عليكم لا لكم . فاما نحن فغير محتاجين الى الاطباء والمنجمين لانا لا نأكل الا قوتاً بلغة يوما بيوم من لون واحد وطعام واحد فليس يعرض لنا الامراض المختلفة والاعلال المفننة ولسنا نحتاج الى الاطباء ولا الى الشربات والترياقات وفنون المداواة مما تحتاجون أنتم اليه : فهذه الاحوال هي التي بالاحرار والاخيار أشبه وبالكرام أولى وتلك بالعبيد الاشقياء أليق وبهم أحرى فمن أين زعمتم بانكم أرباب ونحن عبيد بلا حجة ولا برهان الا قول الزور والبهتان ؟

وأما تجاركم وبناؤكم ودهاقينكم الذين ذكرتم وافتخرتم بهم فلا فخر لكم اذ كانوا هم أسوأ حالا من العبيد الاشقياء الفقراء والضعفاء وذلك انك تراهم طول نهارهم مشغولي القلوب متعبي الابدان مغمومي النفوس معذبي الارواح بما يبنون مالا يسكنون ويغرسون مالا يجتنون ويجمعون مالا يأكلون ويعمرون الدور ويخربون القبور وهم أكياس بأمور الدنيا بله بأمور الاخرة يجمع أحدهم الدراهم والدنانير والمتاع ويبخل أن ينفق على نفسه ويتركه لزوج امرأته ولزوجة ابنه أو لزوج ابنته أو لوارثه ، كادون لغيرهم مصلحون لامر من سواهم لا راحة لهم الى الممات . وأما تجاركم فيجمعون من كل حل وحرام ويبنون الدكاكين والحانات ويملأونها من الامتعة

ويحتكرونها ويضيقون على أنفسهم وجيرانهم واخوانهم ويمنعون الفقراء واليتامى والمساكين حقوقهم ولا ينفقونها فى سبيل الله حتي تذهب جملة واحدة أما في حرق أو غرق أو سرقة أو مصادرة سلطان جائر أو قطع طريق أو ماشا كل ذلك فيبقي في الدنيا هو بحزنه ومصيبته ويعاقب بما كسبت يداه بلا زكوة أخرج ولا صدقة أعطى ولا يتيم بره ولا معروف لضعيف فعل به ولا صلة لذى رحم ولا احسان الى صديق ولا تزود لمعاد ولا تقديم لآخرة . أما تعلم أيها الانسي أن تجاركم يضيعون العمر ويظنون انهم اكتسبوا ربحاً ولا يعلمون انهم قد ضيعوا رأس مالهم وخسروا خسراناً مبيناً ، أولئك كالانعام بل هم أضل سبيلا وباعوا الآخرة بالدنيا فلا تكون لهم الدنيا ولا الآخرة كما قال الله تعالى : « خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين » فان أنتم تفتخرون بهذا الربح فبئس الافتخار

وأما الذين ذكرتهم من أرباب النعم وأهل المروآت فلو كانت لهم مروءة كما ذكرت لكان لا يهنأ لهم العيش اذا رأوا فقراءهم وجيرانهم واليتامي من أولاد اخوانهم والضعفاء من أبناء جنسهم جياعا عراة مرضى زمني مفاليج مطروحين علي الطرقات يطلبون منهم كسوة ويسألون خرقة وهم لا يلتفتون اليهم ولا يرحمونهم ولا يفكرون فيهم فاى مروءة لهم وأى فتوة فيهم ؟ فثبت أن لا مروءة ولا رحمة لهم . وأما الذين ذكرت من الكتاب والعمال ومن أصحاب الدواوين وافتخرت بهم فكيف يليق بكم الافتخار بهم لانهم أشرار فجار ؟

أليسوا هم الذين يرغبون الى أسباب الشر مالا يرغب غيرهم ويصلون اليها مالا يصل غيرهم لدقة افهامهم وجودة تمييزهم ولطف مكائدهم وطول ألسنتهم ونفاذ خطابهم فى كتاباتهم يكتب أحدهم الى أخيه وصديقه زخرفا من القول غرورا بألفاظ مسجعة وكلام حلو وهو من ورائها فى قطع دابره والحيلة في ازالة نعمه والنظر الى أسباب نكايته وتزوير الاعمال في مصادرته والتأويلات لأخذ ماله !

وأما قراؤكم وعبادكم والذين تظنون انهم أخياركم وأنتم ترجون اجابة دعائهم وشفاعتهم لكم عند ربكم فهم الذين غروكم باظهار الورع والخشوع والتقشف والتنسك فى نتف الاسبلة وتقصير الاكمام وتشمير الازار والسراويل ولبس الخشن من الصوف والشعر والمرقعات وطول الصمت ولزوم السمت مع ترك التفقه في الدين وترك تعلم أحكام الشريعة وسنن الدين وتهذيب النفس واصلاح الاخلاق ، واشتغلوا بكثرة الركوع والسجود بلا علم حتى ظهرت علامة السجادات في جباههم والثفنات على ركبهم وتركوا الاكل والشرب حتى جفت أدمغتهم وجلت شفاههم ونحلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم وانحنت ظهورهم ، وقلوبهم مملوءة بغضاً وحقداً لمن ليس مثلهم ولهم وساوس خصومة مع ربهم بضمائرهم ويقولون في السر ويعترضون فى الباطن على الله تعالى انه لم خلق ابليس والشياطين والكفار والفراعنة والفساق والفجار والاشرار ؟ ولم ربّاهم ورزقهم ومكنهم ؟ ولم لا يهلكهم ؟ ولماذا فعل هذا ولماذا عمل كذا ؟ وما

شا كل هذه الخالات والوساوس التى قلوبهم منها مملوءة ونفوسهم
شاكة متحيرة فهم عندالله أشرار وان كانوا عنـدكم أخيارا ، فأى
افتخار لـكم بهم ؟ وانما هو عار عليكم :

. . وأما فقهاؤكم وعلماؤكم فهم الذين يتفقهون فى الدين طلبًا للدنيا
وابتغاء للرئاسة فيها والولايات والقضاء والفتاوى بآرائهم ومذاهبهم
فيحللون تارة ماحرم الله ورسوله ويحرمون تارة ما أحل الله ورسوله
بتأويلاتهم الكاذبة ويتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة ويتركون حقيقة
ماأنزل الله من الآيات المحكمات وينبـذونها وراء ظهورهم كأنهـم
لا يعلمون ويتبعون ما تتلو الشياطين على قلوبهـم من الخيالات
والوساوس : كل هذا طلبا للدنيا ومكسبًا للرئاسـة من غير ورع ولا
تقوى من الله وأولئك هم وقود النار في الآخرة ، فأى فخر لـكم بهم

وأماقضاتـكم وعدولـكم والمزكون لـكم فهم أظلم وأزهي وأبطر
وأشر وأسوأ من الفراعنة والجبابرة وذلك انك تجد الواحد منهـم
قبل الولاية قاعدًا بالغدوات في المسجد حافظًا لصلواته مقبلا على شأنه
يمشي بين جيرانه على الارض هونًا حتى اذا ولى القضاء والحكم
تراه راكبًا بغلة فارهة أو حمارا مصريا مسرجا بموكب وغاشية يحملها
السودان قد ضمن القضاء من السلطان الجائر بشيء يؤديه اليـه من
أموال اليتامى وارتفاع الوقوف ويحكم بين المتخاصمين بالصلح مع
عدم التراضي وثبوت حق أحدهما على الآخر ويلجئهم بذلك قهرا
وغلبـة للمحاماة يأخـذ السحت والبراطيل والرشي ويرخص لهم في

الخيانات وشهادات الزور وترك اداء الأمانات والودائع فأولئك هم الذين ذكر الله تعالى ذمهم في التوراة والانجيل والقرآن فويل لهم ولمن اغتر بهم وبافعالهم .

وأما خلفاؤكم الذين زعمتم انهم ورثة الانبياء عليهم السلام فكفى في وصفهم ماقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن نبوة في قوم الا يستخلفها الجبروتية » فيسمون باسم الخلافة النبوية ويتسيرون بسيرة الجبابرة وينهون عن منكرات الامور ويرتكبون كل محظور ويقتلون أولياء الله وأولاد الانبياء ويسبونهم ويغصبونهم على حقوقهم ويشربون الخمور ويبادرون الى الفجور . اتخذوا عباد الله خولا وأيامهم دولا وأموالهم مغنما وبدلوا نعمة الله كفرا واستطالوا على الناس افتخارا ونسوا أمر المعاد وباعوا الدين بالدنيا والآخرة بالاولى ، فويل لهم مما كسبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون . وذلك انه اذا ولى أحد منهم أولا يقبض على من تقدمت له خدمة لآبائه وأسلافه وأزال نعمهم وربما قتل أعمامه واخوته وبنى عمه وأبناء اخوته وأقرباءه وربما كحلهم بأميال النار وحبسهم أو نفاهم أو تبرأ منهم ، وكل ذلك يفعلون بسوء ظنهم وقلة يقينهم بما قدر الله تعالى لهم ومخافة أن يفوتهم المقدور ورجاء أن ينالوا ماليس في المقدور : كل ذلك حرصاً على طلب الدنيا وشدة رغبة فيها وشحاً عليها وقلة رغبة فى الآخرة وقلة يقين بجزاء الاعمال فى الآخرة والمعاد وليست هذه الخصال من شيم الاحرار ولا فعل الكرام . فافتخارك أيها

الانسي على الحيوانات بذكر أمرائكم وملوككم وسلاطينكم وخلفائكم، هو عليك لا لك وادعاؤكم علينا العبودية ولانفسكم الربوبية باطل وزور وبهتان . أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم.

ولما فرغ الببغاء زعيم الجوارح من كلامه قال الملك لمن حوله من حكماء الجن والانس : أخبروني من الذي يحمل الى الارضة ذلك الطين الذي به تبني على نفسها تلك الآزاج والعقود مثل الرواق والدهاليز وهي دابة ليس لها رجلان تعدو بهما ولا جناحان تطير بهما ؟ فقال رجل من العبرانيين : نعم أيها الملك سمعنا أن الجن تحمل اليها ذلك الطين مكافأة لها على ما أسدت اليها من الاحسان في اليوم الذي أكلت منسأة سليمان بن داود فخر على وجهه وعلمت الجن بموته وهربت ونجت من العذاب المهين . فقال الملك لمن حوله من علماء الجن : ماذا تقولون فيما ذكر ؟ فقالوا لسنا نعرف هذا الفعل من الجن لانه اذا كانت الجن تحمل اليها هذا الطين والماء والتراب فهي اذا بعد في العذاب المهين لان سليمان لم يكن يسومها شيئا سوى حمل الطين والماء والتراب في اتخاذ البلدان . فقال الفيلسوف اليوناني : عندنا أيها الملك من ذلك علم غير ما حكي هذا العبراني. فقال الملك أخبرنا ما هو فقال : نعم أيها الملك ان هذه الدابة ظريفة الخلقة عجيبة الطبيعة ، وذلك ان طبيعتها باردة جدا و بدنها متخلخل منفتح المسام يتداخلها الهواء ويجمد من شدة برد طبيعتها ويصير ماء ويرشح على ظاهر بدنها ويقع عليها غبار الهواء دائما فيبتل ويجتمع شبه

الوسخ فهي تجمع ذلك من بدنها وتبني على نفسها تلك الآزاج كنًا لها من الآفات ولها مشفران حادان مثل الساطير تقرض بهما الخشب والحب والثمر والنبات وتثقب الآجر والحجارة . فقال الملك للصرصر : هذه الدابة من الهوام وأنت زعيمها ، فماذا تقول فيما قال اليوناني ؟ فقال الصرصر : صدق فيما قال ولكن لم يتم الوصف ولم يفرغ من الوصف . فقال الملك : تممه أنت . قال : نعم فان الخالق عز وجل لما قدر أجناس الخلائق وقسم بينهم المواهب والعطايا عدل في ذلك بينهم بحكمته ليكافيء ويساوى عدلا منه وانصافا فمن الخلائق ماوهب له جثة عظيمة قوية ونفساً ذليلة مهينة مثل الجمل والفيل ومنها ماوهب له نفساً قوية عزيزة عليمة حكيمة و بنية ضعيفة وجثة صغيرة ليتكافأ المواهب والعطايا عدلا من الله تعالى وحكمة . قال الملك للصرصر : زدني في البيان . قال نعم ألا ترى أيها الملك الى الفيل مع كبر جثته وعظم خلقته كيف هو ذليل النفس منقاد للصبي الراكب على كتفيه يصرفه كيف يشاء أولم تر الى الجمل مع عظم جثته وطول رقبته كيف ينقاد لمن جذب خطامه ولو كانت فأرة أو خنفساء ؟ أولم تر الى العقرب الجرارة من الحشرات الصغار والكزود التي هي أصغر منها إذا ضربت الفيل بحمتها كيف تقتله وتهلكه ؟ كذلك هذه الارضة وان كان لها جثة صغيرة وبنية ضعيفة فان لها نفساً قوية ، وهكذا حكم سائر الحيوانات الصغار الجثة مثل دود القز ودود الدبرة والعنكبوت وزنابير النحل فان لها أنفساً علامة حكيمة وان كانت

أجسادها صغارا و بنيتها ضعيفة . قال الملك : فما وجه الحكمة في ذلك فقال : لان الخالق عز وجل علم ان البنية القوية والجثة العظيمة لا تصلح الا للكد والعمل الشاق وحمل الأثقال فلو قرن بها أنفساً كبارا لما انقادت للكد والعمل الشاق ، وأما الجثث الصغار والانفس الكبار العلامة فانها لا تصلح الا للحذق فى الصنائع مثل أنفس النحل ودود القز والذرة وأمثالها . قال الملك : زدني فى البيان . قال ثم ان الحذق في الصنعة هو أن لا يدرى كيف عمل الصانع صنعته ومن أى شيء يعمل مثل صناعة النحل لانه لا يدرى كيف تبني منازلها و بيوتها مسدسات من غير فركار ولا مسطرة ، ولا يدرى من أين تجمع العسل وكيف تحمله وكيف تميزه فلو كانت لها جثث كبار لبان ذلك ورئي وشوهد وأدرك ، وهكذا حكم دود القز لو كانت لها جثة عظيمة لرئي كيف تمد ذلك الخيط الدقيق وتغزله وتفتله ، وكذلك حكم بناء الارضة لو كانت لها جثة عظيمة لرئي كيف تبل الطين وكيف تبني . وأخبرك أيها الملك ان الخالق عز وجل قد أرى الدلالة على قدرته للمتفلسفة من بني آدم المنكرين ايجاد العالم لا من هيولى موجودة في صناعة النحل باتخاذها البيوت من الشمع وجمعها القوت من العسل من غير هيولى موجودة ، فان زعمت الانس انها تجمع ذلك من زهر النبات وورق الاشجار ، فلم لا يجمعون هم منها شيئاً مع علمهم وزعمهم بأن لهم القدرة والفلسفة ؟ وان كانت تجمع من وجه الماء ومن جو الهواء ، فلم لا يرون منها شيئاً ولا

يدرون كيف تجمع ذلك وتحمله وتميز وتبني وتحرز ؟ وهكذا أرى الخالق قدرته بجبابرتهم الذين طغوا و بغوا بكثرة نعم الله لديهم مثل نمرود الجبار بأن قتله البق وهو أصغر دابة من الحشرات ، وهكذا أيضاً فرعون لما طغى و بغى على موسي أرسل عليه جنودا من الجراد وأصغر من الجراد وهو القمل وقهره بها فلم يعتبر ولم ينزجر ، وهكذا لما جمع الله لسليمان الملك والنبوة وشدد ملكه وسخر له الجن والانس وقهر ملوك الأرض وغلبهم وشكت الانس والجن فى أمره وظنت ان تلك بحيلة منه وقوة وحول له مع انه قد نفى هو ذلك عن نفسه بقوله « هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم اكفر » فلم ينفعهم قوله ولم يزل الشك من قلوبهم في أمره حتى بعث الله هذه الارضة فاكلت منسأته وخر على وجهه في محرابه ولم يجسر على ذلك أحد من الجن والانس هيبة منه واجلالا حتى بين الله قدرته ليكون عظة لملوكهم الجبابرة الذين يفتخرون بكبر أجسامهم وعظم جثتهم وشدة صولتهم ثم مع هذه الحال كلها لا يتعظون ولا ينزجرون بل يلحون ويتمردون و يفتخرون علينا بملوكهم الذين هم صرعي بأيدى ضعفائنا والصغار من أبناء جنسنا ، وأما دود الدرة فهى أصغر حيوان البحر بنية وأضعفها قوة وألطفها جثة وأكثرها علماً ومعرفة وذلك انها تكون في قعر البحر مقبلة على شأنها فى طلب قوتها حتى اذا حان وقت من الزمان صعدت من قعر البحر الى ظهر سطح الماء في يوم المطر فتفتح ذنبين لها شبه السفطين فتقطر فيهما من مياه المطر حبات فاذا علمت

بذلك ضمت تينك السفطين ضما شديدا اشفاقا أن يرشح فيهما من ماء البحر المالح ، ثم تنزل برفق الى قعر البحر كما كانت بديئا وتمكث هناك منضمة الصدفين الى أن ينضج ذلك الماء و ينعقد فيه الدر ؟ فأى عالم من علماء الانس يعمل مثل هذا ؟ أخبروني ان كنتم عالمين وقد جعل الله تعالى في جبلة نفوس الانس محبة لبس الحرير والديباج والابريسم وما يتخذ منها من اللباس اللين الحسن الذى هو كله من لعاب هذه الدودة الصغيرة الجثة الضعيفة البنية الشريفة النفس ، وجعل في ذوقهم ألذ ما يأكلون العسل الذى هو بصاق هذا الحيوان الصغير الجثة الضعيف البنية الشريف النفس الحاذق فى الصنعة وهو النحل وأحسن ما يوقدون فى مجالسهم الشمع الذى هو من بناء هذا الحيوان ومكسبه ، وجعل أيضا أفخر ما يتزينون به الدر الذى هو يخرج من جوف هذه الدودة الصغيرة الجثة الشريفة النفس ليكون دلالة على حكمة الصانع الحكيم الخبير ليزدادوا به معرفة ولنعمائه شكرا وفي مصنوعاته فكرة واعتبارا ، ثم مع هذه كلها هم عنها معرضون غافلون ساهون لاهون طاغون باغون في طغيانهم يعمهون ولأنعامه كافرون ولآلائه جاحدون ولصنعه منكرون وعلى خلقه زارون وعلى ضعفائه مفتخرون متعدون جائرون ظالمون .

فلما فرغ الصرصر الذى هو زعيم الهوام من كلامه قال الملك بارك الله فيك من حكيم ما أعلمك . ومن فيلسوف ما أحكمك . ومن خطيب ما أبلغك . ومن موحد ما أعرفك بربك ، ومن ذاكر

شاكر لأنعامه ما أفضلك

ثم قال الملك للانسي : قد سمعتم ماقال وفهمتم ما أجاب ، فهل عندكم شيء آخر ؟ قال نعم لنا خصال أخر ومناقب تدل على اننا أرباب وهم عبيدلنا . قال ماهي ؟ أذكرها. قال : وحدانية صورتنا وكثرة صورها واختلاف أشكالها لان الرئاسة والربوبية بالوحدة أشبه والعبودية بالكثرة أشبه . فقال الملك للجماعة : ماذا ترون فيما قال وذكر ؟ فاطرقت الجماعة ساعة مفكرة فيما قال . ثم تكلم زعيم الطيور وهو الهزار فقال : صدق أيها الملك فيما قال ولكن نحن وان كانت صورنا مختلفة كثيرة فنفوسنا واحدة وهؤلاء الانس وان كانت صورهم واحدة فان نفوسهم كثيرة مختلفة . قال الملك : ما الدليل على أن نفوسهم كثيرة مختلفة ؟ قال كثرة آرائهم واختلاف مذاهبهم وفنون دياناتهم ، وذلك انك تجد فيهم اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين وعبدة الاصنام والنيران والشمس والقمر والكواكب والنجوم وغيرها ، وتجد أيضاً أهل الدين الواحد مختلفي المذاهب والآراء مثل الآراء المختلفة التي كانت فى قدماء الحكماء ، ففي اليهود سامرى وعناني وجالوتي ، وفي النصارى نصطورى ويعقوبي وملكاني وفى المجوس زرادشتي وزرواني وخرمى ومزدكى وبرهمى ومانوى وفي أرباب النحل ديصاني وسمني ، وفي أهل الاسلام خارجي وناصبي ورافضى ومرجيء وقدرى وجهمى ومعتزلى واشعرى وشيعي وسني وغير هؤلاء من المشبهة والملحدين والمشككة في دين وأنواع

الكافرين ومن شا كل آراؤهم هذه الآراء والمذاهب الذين يكفر بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً ونحن من هـذه كلها براء ومذهبنا واحد واعتقادنا واحد وكلنا موحدون مؤمنون مسلمون غير مشركين ولا منافقين ولا فاسـقين ولا مرتابين ولا شاكين ولا متحيرين ولا ضالين ولا مضلين نعرف ربنا وخالقنا ورازقنا ومحيينا ومميتنا نسبحه ونقدسـه ونهلله ونكبره بكرة وعشياً ، ولكن هؤلاء الانس لا يفقهون تسبيحنا .

فقال الزعيم الفارسي: ونحن أيضاً هكذا نقول ربنا واحد وخالقنا واحد ورازقنا واحد ومحيينا ومميتنا واحد لا شريك له . فقال الملك فلم تختلفون في الآراء والمذاهب والديانات والرب واحد ؟ قال لان الديانات والآراء والمذاهب إنما هي طرقات ومسالك ومجار ووسائط ووسائل والمقصود والمطلوب واحد من أي الجهات توجهنا فثم وجه الله . قال : فلم يقتل بعضكم بعضاً ان كان أهل الديانات كلهم قصدهم هو التوجـه الى الله ؟ فقال المستبصر الفارسي : نعم أيها الملك ليس من أجل الدين لان الدين لا اكراه فيـه لكن من أجل سنة الدين الذي هو الملك . فقال كيف ذلك بينه. قال ان الدين والملك توأمان لا يفترقان ولا قوام لأحدهما الا بأخيـه . غـير ان الدين هو الاخ المقدم والملك الاخ المؤخر المعقب فلا بد للملك من دين يتدين فيه الناس ولا بد للـدين من ملك يأمر الناس باقامة سننه طوعا أو قهرا فلهذه العلة يقتل أهل الديانات بعضهم بعضاً طلباً للملك والرئاسـة

كل واحـد منهم يريد انقياد الناس أجمع لدينه ومذهبه وأحكام شريعته وأنا أخبر الملك وفقه الله لفهم الحقائق وأذكره بشيء بين لاشك فيه . قال الملك ماذاك ؟ قال ان قتل الانفس سنة في جميع الديانات والملل والدول كلها غير أن قتل النفس في الدين هو أن يقتل طالب الدين نفسه وفى سنة الملك هو أن يقتل طالب الملك غيره

فقال الملك : أما قتل الملوك غيرهم في طلب الملك فبين ظاهر وأما قتل طالب الدين نفسه في سائر الديانات فكيف هو ؟ قال نعم ألا ترى أيها الملك في سنة دين الاسلام كيف هو ظاهر بين وذلك قول الله عز وجل « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون و يقتلون وعدا عليه حقاً فى التوراة والانجيل والقرآن » ثم قال: «فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به » وقال : « ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص » وقال في سنة التوراة :«فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم » وقال المسيح فى سنة الانجيل : « من أنصاري الى الله ؟ قال الحواريون نحن أنصار الله . فقال لهم المسيح: استعدوا للموت والصلب ان كنتم تريدون أن تنصروني فتكونون معي في ملكوت السماء عند أبي وأبيكم والا فلستم فى شيء مني » فقتلوا ولم يرتدوا عن دين المسيح ، وهكذا يفعل البراهمة من أهل الهند يقتلون أنفسهم ويحرقون أجسادهم طلباً للدين ويرون و يعتقدون أنه أقرب قربات الى المولى عز وجل أن يقتل التائب جسده و يحرق بدنه

ليكفر عنه ذنوبه يقيناً منهم بالمعاد . وهكذا يفعل المتألهة من الحكماء والثنوية تمنع أنفسها الشهوات وتحمل عليها ثقل العبادات حتي تقتلها أو تخلصها من دار البلاء والهوان . وعلي هذا القياس يوجد حكم سنن الديانات فى قتل النفوس من فنون العبادات ، وأحكام الشرائع كلها وضعت لخلاص النفوس وطلب النجاة من نار جهنم والفوز بالوصول الي نعيم الآخرة دار القرار . وأخبرك أيها الملك وأذكر ان فى أهل الديانات والمذاهب الاخيار والاشرار ولكن شر الاشرار من لا يؤمن بيوم الحساب ولا يرجو ثواب الحسنات ولا يخاف مكافأة السيئات ولا يقر بوحدانية الصانع البارىء الحكيم الخلاق الرزاق المحيي المميت المعيد الذى اليه المرجع والمصير .

فلما سكت الزعيم الفارسي قام الزعيم الهندى وقال: نحن بنو آدم أكثر الحيوانات عددا وأجناساً وأنواعا وأشخاصاً وحصل لنا من تصاريف أحوال الزمان وتغيرات الدول تجارب ومآرب وعجائب قال الملك كيف ذلك ؟ بينه . قال لان الربع المسكون من الارض يحتوى على نحو من تسع عشرة ألف مدينة مختلفة الامم الكثيرة العدد الذى لا يحصي ولا يعد ، فمن الامم التى لا يحصى عددها أهل الصين وأهل الهند وأهل السند وأهل الزنج وأهل الحجاز وأهل اليمن وأهل الحبشة وأهل النجد وأهل بلاد نوبة و بلاد مصر و بلاد الصعيد و بلاد الاسكندرية وأهل بلاد برقة وأهل القيروان وأهل بلاد أفريقيــة وأهل طنجة وأهل بلاد برطانية وأهل بلاد الجزائر الخالدات وأهل

بلاد الاندلس و بلاد الرومية و بلاد قسطنطينية و بلاد كله و بلاد البربر و بلاد ميافارقية و بلاد برجان و بلاد أذربيجان و بلاد نصيبين و بلاد أرمينية و بلاد الشام و بلاد الكرج وأهل بلاد يونان و بلاد الديار ان و بلاد العراق و بلاد ماهين و بلاد خوزستان و بلاد الجبال و بلاد ختلان و بدخشان وديلمان وطبرستان و بلاد جرجان وبلاد جيلان و بلاد نيسابور و بلاد كرمان و كابلستان وملتان و بلاد سجستان و بلاد ماه وأهل بلاد غوروسادان و باميان وطخارستان و بلاد خراسان و بلاد بلخ وأهل بلاد ماوراء النهر و بلاد خوارزم وأهل بلاد جاج وفرغانة وأهل بلاد كيال و بلاد خاقان و بلاد اسبستان وأهل بلاد فقرس و بلاد خرخير و بلاد تبت وأهل بلاد يأجوج ومأجوج وأهل الجزائر والجبال والفلوات والسواحل كل هذا سوى القرى والسوادات والاعراب والاكراد وأهل البوادي والبراري والجزائر والسواحل والفيافي والآجام وأهل بلادها كلها أمم الانس من بني آدم مختلفة ألوانهم وألسنتهم وأخلاقهم وطباعهم وآراؤهم ومذاهبهم وصنائعهم وسيرهم ودياناتهم لايحصي عددهم الا الله عز وجل الذي خلقهم وأنشأهم ورزقهم يعلم أسرارهم ومستقرهم ومستودعهم « كل في كتاب مبين » فكثرة عددهم واختلاف أحوالهم وفنون تصاريف أمورهم وعجائب مآربهم تدل على انهم أفضل من غيرهم وأكرم ممن سواهم من أجناس الخلائق التي في الأرض من الحيوانات جميعا وانهم أرباب والحيوانات جميعا عبيد لهم ومماليك ، ولنا فضائل أخر ومناقب

شتي يطول شرحها . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

فلما فرغ الانسي من كلامه نطق عند ذلك الضفدع فقال :

الحمدلله الكبير المتعالي العلي القهار العزيز الجبار خالق الانهار الجارية العذبة المياه والبحار الزاخرة المرة المالحة البعيدة القعور الواسعة الاقطار ذوات الامواج والهيجان معدن الدر والمرجان الذى خلق في أعماق قرارها المظلمه وأمواجها المتلاطمة أصناف الخلائق ذوات الفنون والطرائق فمنها ذوات الجثث العظام والهيا كل الجسام قد ألبس بعضها الجلود الثخان والفلوس المنضدة الصلاب الاصداف المجعدة الزلاف ومنها كثيرة الارجل المدبابة ومنها ذوات الاجنحة الطيارة ومنها ذوات البطون الخمص المنسابة ومنها ذوات الرؤوس الكبار والافواه المتفتحة والعيون البارقة والاشداق الواسعة والاسنان القاطعة والمخالب الحداد والاجواف الرحيبة والاذناب الطويلة والحركات الخفيفة والسباحة السريعة ، ومنها صغار الجثث ملس الجلد بلا آلة وأدوات قليلة الحس والحركات . كل ذلك لاسباب وعلل لا يعرف ولا يعلم كنه معرفتها الا الذى خلقها وصورها وأنشأها ورزقها وأكملها وأبلغها الى أقصى مدى غاياتها ومنتهى نهاياتها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين لا لمخافة غلط أو لاحتراز من نسيان لكن لوضوح و بيان .

قال الضفدع : قدذكر هذا الانسي أيها الملك السعيد أصناف بني آدم وعدد طبقاتهم ومراتبهم وافتخر بها على الحيوانات فلو انه رأى

أجناس حيوانات الماء وشاهد صور أنواعها وغرائب أشكالها وأشخاصها وظرائف فنون هيا كلها لعاين العجائب وصغر في عينه ما ذكر من كثرة أصناف بني آدم والامم الكثيرة التي ذكرناها في المدن والقرى والبراري والبلدان ، وذلك ان في الربع المسكون من الارض نحوا من أربعة عشر بحرا كبارا منها بحر الروم وبحر جرجان وبحر كيلان وبحر القلزم وبحر فارس وبحر الهند وبحر السند وبحر الصين وبحر يأجوج والبحر الاخضر وبحر الغربي وبحر الشمال وبحر الحبشة وبحر الجنوب وبحر الشرقي وفي هذا الربع المسكون أيضاً نحو من خمسمائة نهر صغير ونحو من مائتي نهر طويل مثل جيحون ودجلة والفرات ونيل مصر ونهر الكر والرس بأذربيجان وهارمند بسجستان وما شاكل هذه الانهار طول كل واحد منها من مائة فرسخ الى ألف فرسخ . وأما الآجام والغدران والبطائح والانهار الصغار والسواقي فهي مما لا يعد ولا يحصي ، وفي كل هذه من أجناس السموك والسرطانات والكراريك والسلاحف والتنانين والكوسج والدلافين والتماسيح وأنواع أخر مالا يعد ولا يحصي ولا يعلمها الا خالق الكل وقد قيل أنها سبعمائة صورة جنسية سوى أنواعها وأشخاصها . وفي البر نحو من خمسمائة صورة جنسية سوى نوعية وشخصية من أجناس الوحوش والسباع والبهائم والانعام والحشرات والهوام والطيور والجوارح وغيرها من الطيور الانيسة وكل هذه عبيد الله ومماليك له خلقهم بقدرته وصورهم بعلمه وأنشأهم وربّاهم ورزقهم ويحفظهم

ويرعاهم ولا يخفى عليه خافية من أمورهم يعلم مستقرهم ومستودعهم كل في كتاب مبين . ثم قال الضفدع : فلو تأملت واعتبرت أيها الانسي فيما ذكرت لك لعلمت وتبين لك أن افتخارك بكثرة بني آدم وعدد صنوفهم وطبقاتهم لا يدل على انهم أرباب وغيرهم عبيد لهم البتة

ولما فرغ الضفدع من كلامه قال حكيم من الجن : ذهب عنكم يامعشر بنى آدم ويامعشر الحيوانات الارضية ذوى الاجسام الثقيلة والجثث الغليظة والاجرام ذوات الابعاد الثلاثة من ساكنى البر والبحر والجبل ، وخفي عنكم معرفة كثرة الخلائق الروحانية والصور النورانية والارواح الخفيفة والاشباح اللطيفة والنفوس البسيطة والصور المفارقة التى مسكنها في فسحة أطباق السموات وسريانها فى فضاء سعة عالم الارواح والافلاك من أصناف الملائكة الروحانيين والكروبيين وحملة العرش أجمعين . وما فى سعة كرة الاثير من الارواح الناوية وما في سعة كرة الزمهرير من قبائل الجن وأحزاب الشياطين وجنود ابليس أجمعين . فلو انكم يامعشر الانس ومعشر الحيوانات عرفتم كثرة أجناس هذه الخلائق التي ليست بأجسام ذوات أركان ولا باجرام ذوات ابعاد وعلمتم كثرة أنواعها وضروب صورها وعدد أشكال أشخاصها لصغر فى عينكم كثرة أجناس الحيوانات الجسمانية والأنواع الجرمانية والأشخاص الجزئية وذلك إن مساحة كرة الزمهرير تزيد على مساحة سعة البر والبحر أكثر من عشرة أضعاف ، وهكذا سعة كرة الاثير تزيد على سعة كرة

الزمهرير أكثر من عشرة أضعاف، وهكذا سعة كرة فلك القمر تزيد على سعة كرة الجميع عشرة أضعاف ، وهكذا نسبة فلك عطارد الى فلك القمر وعلى هذا المثال حكم سائر الافلاك المحيط بعضها ببعض الى أعلى الفلك المحيط وكلها ممتلىء فضاؤها وفسحات سعتها من الخلائق الروحانية حتى انه ليس فيها موضع شبر الا وهناك جنس من الخلائق الروحانية كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم حين سئل عن قوله تعالى « وما يعلم جنود ربك الا هو » فقال عليه وعلى آله السلام مافي السموات السبع موضع شبر الا وهناك ملك قائم أو راكع أو ساجد لله تعالى . ثم قال الحكيم : فلو تفكرتم معشر الانس ومعشر الحيوانات فيما ذكرت لعلمتم بأنكم أقل الخلائق عددا ودونها مرتبة ومنزلة ، وافتخارك أيها الانسي بالكثرة ليست بدليل على انكم أرباب وغيركم عبيد لكم بل كلنا عبيد الله تعالى وجنوده ورعيته وسخر بعضنا لبعض كما اقتضت حكمته وأوجبت ربوبيته فله الحمد على ذلك وعلى سابغ نعمه كثيرا .

ولما فرغ حكيم الجن من كلامه قال الملك : قد سمعنا ماذكرتم معشر الانس وافتخرتم به وقد سمعتم الجواب فهل عندكم شيء آخر غير ماذكرتم ؟ هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين وأوردوه وبينوه . فقام عند ذلك الخطيب الحجازى المكي المدني فقال : نعم أيها الملك لنا فضائل أخر ومناقب حسان تدل على أننا أرباب وهذه الحيوانات عبيد لنا ونحن ملاكها ومواليها . قال الملك : ماهي ؟ قال مواعيد

ربنا لنا بالبعث والنشور والخروج من القبور وحساب يوم الدين والجواز على الصراط المستقيم ودخول الجنان من بين سائر الحيوانات وهي الفردوس وجنة النعيم وجنة الخلد وجنة عدن وجنة المأوى ودار السلام ودار القرار ودار المقامة ودار المتقين وشجرة طوبي وعين السلسبيل وأنهار من خمر وعسل ولبن وماء غير آسن وبالدرجات في القصور وتزويج الحور العين ومجاورة الرحمن ذي الجلال والاكرام والتنسم من الروح والريحان كلها مذكورة في القرآن في نحو من سبعمائة آية وكل ذلك بمعزل عنه هذه الحيوانات ، وهذا دليل بأنا أرباب وهؤلاء عبيد لنا ، ولنا مناقب أخر غير ماذكرنا . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

فقام عند ذلك زعيم الطيور وهو الهزاردستان فقال : نعم ان القول كما قلت أيها الانسي ولكن أذكر أيضاً ما أوعدتم به معشر الانس من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير وأهوال يوم القيامة وشدة الحساب والوعيد بدخول النيران وعذاب جهنم والجحيم والسعير ولظي وسقر والحطمة والهاوية وسرابيل من قطران وشرب الصديد والغساق وأكل شجرة الزقوم ومجاورة مالك الغضبان سادن النيران وجوار الشياطين وجنود ابليس أجمعين وما هو مذكور في القرآن الى جنب كل آية من الوعد آية من الوعيد ، كل ذلك لكم دوننا ونحن بمعزل عن جميع ذلك كما لم نوعد بالثواب لم نوعد بالعقاب وقد رضينا بحكم ربنا لالنا ولا علينا ، وكما رفع عنا حسن الوعد صرف عنا خوف

الوعيد وتكافأت الادلة بيننا واستوت الاقدام فمالكم والافتخار ؟
فقال الحجازى : وكيف تساوت الاقدام بيننا و بينكم فنحن على أى حال كانت باقون أبد الآبدين ودهر الداهرين ان كنا مطيعين فنكون مع الانبياء والأئمة والاولياء والسعداء والحكماء والاخيار والفضلاء والابرار والزهاد والعباد والصالحين والعارفين والمستبصرين وأولى الابصار وأولى الحجي وأولى النهي والمصطفين والاخيار الذين هم بالملائكة يتشبهون والى الخيرات يتسابقون والى لقاء ربهم يشتاقون وفي جميع أوقاتهم وأحوالهم عليه مقبلون ومنه يسمعون واليه ينظرون وفى عظمته وجلاله يتفكرون وفى جميع أمورهم عليه يتوكلون واياه يسألون ومنه يطلبون واياه يرجون وهم من خشيته مشفقون ، ولو كنا مردودين نتخلص بشفاعة الانبياء عليهم السلام خصوصاً بشفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم و بعد ذلك نكون باقين في الجنة مع الحور والغلمان تخاطبنا الملائكة بقولهم «سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين» وأنتم يامعشر الحيوانات بمعزل عن جميع ذلك لانكم بعد المفارقة لاتبقون ،

فقال زعماء الحيوانات حينئذ وحكماء الجن باجمعهم : يامعشر الانس الآن جئتم بالحق ونطقتم بالصواب وقلتم الصدق ، لان بامثال ماذكرتم يفتخر المفتخرون ونحو بمثل أعمالهم فليعمل العاملون وفى مثل سيرهم وأخلاقهم وآدابهم والعلوم المتفننة لهم يرغب الراغبون وفي ذلك فليتنافس المتنافسون . ولكن خبروا يامعشر الانس عن أوصافهم

و بينوا لنا سيرتهم وعرفونا طرائق معارفهم ومحاسن أخلاقهم وصالح أعمالهم ان كنتم تعلمون واذ كروها ان كنتم بها عارفين ــ فسكتت الجماعة حينئــذ ساعة يتفكرون فيما سألوا عنهم فلم يكن عند أحــد جواب .

فقام عندذلك الخبير الفاضــل الذكي العابد المستبصر الفارسي النســبة العربي الدين الحنفي الاســلام العراقي الادب العبراني المخبر المسيحي المنهاج الشامي النسك اليوناني العلوم الهندى التعبير الصوفي الاشارات الملكي الاخلاق الرباني الرأى الالهى المعارف فقال : الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين وصلى الله على النبي محمد وآله أجمعين . أما بعد أيها الملك العادل لما بان وتبين بحضورك صدق ما ادعى جماعة الانس وظهر عندك ان من هؤلاء الجماعة قوماً هم أولياء الله وصفوته من خلقه وخيرته من بريته وان لهم أوصافا حميدة وصفات جميلة وأعمالا زكية وعلوماً متفننة ومعارف ربانية وأخلاقاً ملكية وسيرا عادلة قدسية وأحوالا عجيبة قــد كلت ألسنة الناطقين عن ذكرها وقصرت أوصاف الواصفين لها عن كنه صفاتها وأكثر الذاكرون في وصــفهم وطول الواعظون الخطب فى مجالس الذكر عن بيان طريقهم ومحاسن سيرهم ومكارم أخــلاقهم طول أزمانهــم ودهورهم ولم يبلغوا كنه معرفتها ، فما يأمر الملك العادل في حق هؤلاء الغرباء من الانس وهؤلاء الحيوانات العبيد لهم؟ فأمر الملك ان تكون الحيوانات بأجمعهـا تحت اوامرهم ونواهيهم

ويكونوا منقادين للانس ، فقبلوا مقابلتـه ورضوا بذلك وانصرفوا آمنين في حفظ الله تعالى وأمانه

وانت يا اخى فاعلم علم اليقين بأن تلك الاوصاف التي غلبت الانس علي طبقات الحيوانات بحضور ملك الجن هي التحقق بالعلوم والمعارف التي اوردناها في احدى وخمسين رسالة بأوجز ما يمكن واقرب مايكون وهذه الرسالة واحدة منها . ونحن قد بينا في هـذه الرسالة ماهو الغرض المطلوب على لسان الحيوانات فلا تظنن بنا ظن السوء ولا تعـد مقالتنا ملعبة الصبيان ومخـرقة الاخوان لان عادتنا جارية على انا نبين الحقائق بألفاظ وعبارات علي وجـه الاشارات وتشبيهات على لسان الحيوانات ومع هذا لانخرج عما نحن فيه ... أن يتأمل المتأمـل في هـذه الرسالة ويتنبه من نوم الغفلة ويتعظ من مواعظ الحيوانات وخطبهم ويتأمل كلامهم واشاراتهم لعله يفوز بالموعظة الحسنة ، وفقكم الله أيها الاخوان لاستماعها وفهم معانيها وفتح قلوبكم وشرح صدوركم ونور أبصاركم بمعرفة أسرارها ويسر لكم العمل كما فعل بأوليائه وأصفيائه وأهـل طاعته انه علي مايشاء قدير وهو حسبنا ونعم النصير.


Bibliotheca Alexandrina
0419743